

علم الروح القدس القريني

بقلم: فيلي-ماتي كاركاينن Veli-Matti Kärkkäinen*
(vmk@fuller.edu)
كلية اللاهوت فولر Fuller Theological Seminary

الروح القدس في القرينة

بحسب وعد الكتاب المقدس، سينسكب الروح القدس على "كلّ جسد"، أيّ على جميع أنواع البشر، كبارًا وصغارًا، من كلّ الثقافات والبيئات (يو ٢: ٢٨-٢٩؛ أع ٢: ١٧-١٨). فخدمة الروح القدس هي دائمًا متخصصة ومحدّدة. فإنّ روح قدس الله ليس قوّة خارقة للطبيعة ترفرف فوق العالم، لكنه شخص يعيش ويتغلغل في كلّ مواقف وقرائن الحياة المختلفة للبشر. حتّى بالرغم من أنّ الغرض من عمل الروح القدس هو أن يظلّ ثابتًا باستمرار – وهو تمجيد الابن، وإحضار الخليقة الجديدة كاملة للأب – فالروح القدس يتّصل بكلّ شخص ومجموعة من البشر بطريقة خاصة جدًا.

وفي عالمنا المعاصر، يتحمل اللاهوت عبء إظهار حساسيته الثقافيّة. فلا يمكن أن يظلّ اللاهوت امتيازًا يحظى به مجموعة من البشر. بل بالحريّ، يجب أن يكون واضحًا في قرينة؛ لأنّه يتحدّث عن الله وكلمته في مواقف محدّدة، ويتجاوب مع احتياجات وتحديات متنوّعة.

في العقود الأخيرة، ظهر فهم الروح القدس بشكلٍ قرينيّ ليصحّ ويكمل المدخل الغربيّ الرئيسيّ الذي كان مسيطرًا. ويلقي هذا الفصل الضوئ على غنى علم الروح القدس. ويتم بناء علم الروح القدس العضويّ على أساس الفلسفة

* ترجمة: جورج عزّت زاهر؛ مراجعة وتنقيح: رمسيس توّاب صليب.

Originally published as: Veli-Matti Kärkkäinen, *Pneumatology: The Holy Spirit in Ecumenical, International, and Contextual Perspective* (Grand Rapids, MI: Baker Academic, 2002), 147-74 (chapter 6: "Contextual Theologies"). Used by permission of Baker Academic, a division of Baker Publishing Group, © 2002.

العضوية، واللاهوت، ومحاولات فهم الروح القدس في صيغ ديناميكية، واستنتاجية، وصوفية. وقد قدم لاهوت التحرير، الذي نشأ في رحم قارة أمريكا الجنوبية الفقيرة، وانتشر أيضاً مؤخرًا في قارات أخرى، توجهات الروح القدس من وحي الأسئلة التي تطرحها الحرية والنهضة. وقد دعت أنواع علم الروح القدس البيئي أو الأخضر أن تخاطب الكوارث التي ستحدث في مستقبل الخليقة – مثل: التلوث، واستنزاف الموارد الطبيعية، والكارثة البيئية – من خلال تبني إدراك وموارد مبنية على علم الروح القدس. ويحاول علم الروح القدس التسوي تفسير اختبار الروح القدس من منظور المرأة، وإيجاد نسخة مؤنثة ممتثلة للإشارة إلى ألوهية الروح القدس. ويُعد المفهوم الإفريقي عن الروح القدس مثالاً على التنوع الثري لـ"دراسات المنطقة". وكما هو معروف، فإن أسرع نمو للكنائس المسيحية حدث بعيداً عن الغرب، فالكنائس المؤسسة الإفريقية (AIC، African Instituted Churches)، وغيرها من الكنائس غير التقليدية، تؤمن بقوة بكل ما يتعلق بالروح القدس، كما أن لاهوتها وحياتها الروحية تحمل الطابع الكاريزماتي.

علم الروح القدس العضوي

العالم في تطوره

بالرغم من عدم دخول الفلسفة العضوية في اللاهوت المسيحي حتى النصف الثاني من القرن العشرين، فإن مبادئه الرئيسية ليست جديدة. فقد عبّر الفيلسوف القديم هيراقليطس (٥٤٠-٤٧٥ ق.م.) عن منطقية الفكرة العضوية بمقولته الشهيرة: "لا يمكنك النزول إلى نفس النهر مرتين؛ لأنّ المياه المتجددة ستعطيك باستمرار". وقد طوّر كثير من فلاسفة العصر الحديث هذه الفكرة. فعلى سبيل المثال، تحدّث هيجل Hegel عن المطلق، ووصّفه بأنّه الكلّ الذي يحتوي ويتم احتوائه في كلّ جزء، وبذلك وصّف المحدودية والحرية في الواقع المطلق. كما أنّ نظرية أينشتاين Einstein عن النسبية، التي رفضت نهائياً فيزياء نيوتن الاستاتيكية (الثابتة)، وفكرة الفيلسوف هنري برجسون Henri Bergson عن النظرة العضوية للواقع، ورأي وليم جيمس William James عن الوعي البشري كنهز متدفق، تُعدّ تطورات حديثة ساهمت في تأسيس الفلسفة العضوية.

وقد ألف عالم الرياضيات ألفريد وايتهد Alfred Whitehead كتاب **العضوية والواقع**،¹ الذي يُقدِّم الأفكار الأساسية للتفكير العضوي.

إنَّ إحدى الأفكار الهامة في التفكير العضوي هي احتمالية كلِّ الأشياء. فنحن نعيش في عالم يعتمد كلُّ شيء فيه على الآخر، ويجب أن نرى كلَّ حدث فيه كجزء من تدفُّقٍ لانتهائيٍّ من العلل، تلك التي تسبق الحدث والنتائج المترتبة عليه. فلا يوجد شيء منفصل عن باقي الأشياء. فكلُّ شيء يتَّصل بدرجة ما، بشكلٍ مباشر أو غير مباشر، بكلِّ شيء أو كيانٍ آخر. فلا يوجد شيء بدون مشاركة لباقي الأشياء. ويطبَّق التفكير العضوي الفكرة، التي وضعها أينشتاين عن مبدأ النسبية، على الواقع ككلِّه. فكلُّ كيان، سواء كان معنويًّا أو ماديًّا، له مجموعة من العلاقات مع القرينة المحيطة؛ وبالتالي فلا يمكن أن يكون هناك كيان أو خبرة أو إنجاز مطلق.

إنَّ مفهوم زوال كلِّ الأشياء هو فكرة مرتبطة بالموضوع. فلا شيء ثابت في الكون - سواء في المستوى الماديِّ أو المعنويِّ. ونحن نعيش في عالم الصيرورة، حيث تصبح الأشياء، والأحداث، والمجتمعات وخصوصًا الأشخاص، ثُمَّ تَمُرُّ سريعًا. وعلى عكس المنظور الاستاتيكيِّ القديم، فإنَّه في الفلسفة العضوية تظهر الحقيقة نفسها بشكلٍ متجدِّد، وتلقائيٍّ، ومُبدع. ويتحدَّى هذا المنظور التأكيد التقليديِّ على العلة والنتيجة. وبالتالي، ففي العقود الأخيرة، فإنَّ مصطلحات مثل "صيرورة" و"عضوية" و"تغيير" و"مشاركة" و"ديناميكي" أصبحت شائعة الاستخدام.

يحاول اللاهوت العضويُّ بجدية البحث عن توافق بين العلم المعاصر وحضور الله المُبدع في العالم. ولأنَّ "الخليقة مستمرة"، فيفتح هذا المجال أمام أعمال الله "الجديدة".

ومثل كلِّ الموجودات الحقيقية، فإنَّ الله ثنائيٍّ، ومكوَّن من بُعد "بادئ" وآخر "ناتج". ويُشير البُعد البادئ (غير المؤقت أو العقلي) إلى امتلاك الله لكلِّ الإمكانيات. فهذا هو بُعد الله باعتباره علة للعضوية في العالم بقدر لا نهائيٍّ من الإمكانيات. أمَّا الناتج (المادي) في الله فهو "مشاعر الله تجاه العالم" و"امتلاؤه

1 Alfred Whitehead, *Process and Reality* (New York: Free Press, 1957).

بمشاعر ملموسة": فقد أصبح شريك العالم في معاناته.² ويتجاوب مع خيارات وعضويات الخليفة؛ فهو موجود في تفاعل نشط أصيل مع العالم.

الروح القدس باعتباره المحايث الإلهي

ينشأ اللاهوت العضوي من الإيمان بوحداية الله، لكنه يعمل أيضاً كعلمٍ نقديّ. والاتهام الأساسي الموجّه ضدّ المنظور التّوحيديّ الكلاسيكيّ هو رفضه لمبدأ العلاقة التبادليّة (بين الله والعالم). لأنّ مفكريّ اللاهوت العضويّ حدّدوا العلاقة التبادليّة إلى الدرجة التي أصبحت معها تقريباً شيئاً خالياً من المعنى. إنّ الأحكام الفلسفيّة المسبقة مثل "المطلق (aseity)* وعدم القابليّة للتغيّر وعدم القابليّة للتّألم" تُنقص من مفهوم التبادليّة. وبالتالي، يتمركز اللاهوت العضويّ حول أسئلة تتعلق بالعلاقة بين الثّابت والمتغيّر، الوجود والصورورة، الأبدّي والزّمانيّ، غير المتغيّر وما هو دائم التّغيّر.³

إنّ الدّراسة الهامة التي تُقدّم علم الروح القدس، والمبنيّة على التفكير العضويّ، تُوجّد في كتاب نحو علم الروح القدس العضويّ للكاتب بلاير رينولدز Blair Reynolds. وهدف هذا الكتاب هو "أخذ المبادرة نحو صياغة عقيدة الروح القدس، الله الساكن فينا وفي عالمنا، خلال أقسام اللاهوت العضويّ".⁴ إنّ نقطة الانحراف التي وقع فيها رينولدز هي تفسير فكر وايتهيد عن المحايثة الإلهيّة. ففي لاهوت العضويّة، فإنّ محايثة الله في الخليفة هو موضوع رئيسيّ، ويمكن شرحه من خلال المصطلحات الخاصة بعقيدة الروح القدس. ولم يُشير وايتهيد صراحةً إلى مصطلح "الروح القدس"، لكن فكرته يمكن أن تُوضّح بطريقة علم الروح القدس.

2 Cf. John B. Cobb and David Ray Griffin, *Process Theology* (Philadelphia: Westminster, 1976).

* aseity: من الكلمة اللاتينيّة "a se" أيّ "من ذاته"، وقد أُسْتُخِمْ هذا المصطلح في اللاهوت التقليديّ لوصف وجود الله الذاتيّ، أو أنّه الكيان الغير مُنشأ في مقابل كيان الخلاق المُنشأ والاعتماديّة. وقد فسّر أنسلم هذا المصطلح بأنّه كيان الله الحتميّ كمقابل لكيان الخليفة المشروط. في حين فسّر بارت هذا المصطلح على أنّه فعلية الله في خزيّة السيادة والتّحديد الإلهيّ الذاتيّ. (Daniel Migliore, *Faith Seeking Understanding*, 404) (المخرّر).

3 Blair Reynolds, *Toward a Process Pneumatology* (London: Associated University Presses, 1990), esp. ch. 4.

٤ المرجع السابق، ٩.

حاول وايتهيد بكلّ وسعه تجنّب الثنائيّة (dualism)، أو كما يسميها هو مبدأ التشعبية (bifurcation): "فالعالم، الذي يُفترض أنّه دائم التغيّر، هو الواقع الوحيد."^٥ وبحسب علم الرُّوح القدس، فإنّ هذا المبدأ هام؛ لأنّه يتخلص من الثنائيّة الأنطولوجية التقليديّة بين الله والعالم. وبالرغم من وجود تمايز واضح بين الله والعالم، إلّا أنّه هناك علاقة حميمة متبادلة بين الاثنين. ولهذه الفكرة نتائج لاهوتية عميقة. ومن رأي وايتهيد إنّه: إذا لم يتم استبداله بتخطيط مينافيزيقيّ مُوحّد، فإنّ المفهوم عن الله سيكتسب معنًى غير واضح وغير مُحدّد فيكون غامضاً. بينما، كلّ من الله والعالم يحتاج إلى الآخر لتوضيح بعضهما البعض.^٦

علاوةً على ذلك، فإنّ الله حاضرٌ في الخبرة الإنسانيّة. ويمكن الاقتراب من الله، فهو مُتاح للغاية، حيث: "يسكن الله الكون، ويعيش بيننا، ليس في عالمٍ أبديّ بعيد فوق أو وراء العالم."^٧ وإذا صحّ هذا المبدأ، فيعني هذا أنّه عندما نختبر العالم فإننا أيضاً نختبر الله بنفس المستوى. أيّ، يعمل الرُّوح القدس كاتصال حقيقيّ بين الله والناس. فقد تقابل الله مع خبراتنا. وعندما نستخدم مصطلحات التفكير العضويّ، نستطيع أيضاً أن نقول إنّ كلّ كيان حقيقيّ يؤثّر في كلّ كيان آخر حقيقيّ (كيان الله الواحد هو في آخرين).^٨

المسيحيّة الصوفيّة وعلم الرُّوح القدس العضوي

أحد الملامح الخطيرة والمثيرة في كتاب رينولدز هو تقديمه للمسيحيّة الصوفيّة كجسر بين اللاهوت المسيحيّ الأكثر تقليديّة واللاهوت العضويّ. حيث يعرض فكر مؤلفين صوفيّين كثيرين، مثل ديونيسيوس الأريوباغيّ، ميستر إكّهرت Meister Eckhart، تيريزا الأفيلوية Teresa of Avila، ويوحنا الصليبيّ John of the Cross. وقد سعى لإظهار أنّه بالرغم من احتواء الصوفيّة التقليديّة على عناصر ثنائيّة، مثل الثنائيّة بين الرُّوح والمادة، والمقدّس

^٥ المرجع السابق، ١٣.

6 Donald W. Sherburne, "Whitehead without God," in *Process Philosophy and Christian Thought*, ed. D. Brown, R. James, and G. Reeves (New York: Bobbs-Merrill, 1971), 313; Reynolds, *Toward a Process Pneumatology*, 14.

7 Reynolds, *Toward a Process Pneumatology*, 35.

^٨ المرجع السابق، ٤٠-٤١.

والدنيوي، فإنها تدرك أيضاً الخصائص الديناميكية والنسبية في الألوهية، جاعلاً إيّاها مفتحة للتفكير العضوي. ويوضح أنّ كثير من الصوّفيين صاروا لإيجاد التوازن بين العقيدة المسيحية عن الله وخبراتهم الصّوفية الشخصية. فعلى سبيل المثال، جادل ديونيسيوس الأريوباغي من أجل منظور ديناميكي عن الله أكثر من منظور الأرثوذكسية. وقد صار ع أيضاً الكثير من الصّوفيين مع السؤال عن التّعير الملحوظ في الألوهية، كالتّعير الحادث في الجدل الخاص بالروح والجسد.⁹ ويرى التفكير العضوي كلّ هذه الموضوعات على أنّها تحديات خطيرة على الوحدة التقليدية.

إنّ رينولدز على صواب تماماً عندما قال إنّ الصّوفية التاريخية أعطت أغلب القصص المفصلة عن اختبار نوال الروح القدس. وبحسب تفسير رينولدز، هناك تشابه بين النشوة الصّوفية وخبرة وايتهيد.¹⁰ فتنمركز النشوة الصّوفية حول التبادلية المشتركة بين الله والعالم، وبالتالي، فإنّ حضور الله يُعلن بشكل واضح في ومن خلال ملء المشاعر.¹¹ وأيضاً من خلال الرغبات المننسية بأنّ "الله ربّما يتخلّلها [أي الروح] تماماً في أعرق تأثيرات على القلب، وفي أكبر أعماقه."¹²

وهكذا، يرى رينولدز كثيراً من العناصر المشتركة بين علم الروح القدس العضوي والمسيحية الصّوفية. ففي التقليدين، يمكن أن نخبر لمسة الله بشكل رقيق. ويُركّز اللاهوت العضوي على العناصر الحساسة والرقيقة لله. وبنفس الطريقة، يميل الصّوفيون لوصف الله بشكل مجازي كفنّان، وليس كأحد الصّوفيين. وتنسم حياة الصّوفيين بالعدوبة، والرقة، واللطف. وفي النهاية، فإنّ كلّاً من الصّوفيين وكثير من أصحاب التفكير العضوي يصفون الله بصيغة أنثوية.¹³

إنّ الملخص الذي قدّمه رينولدز عن الخبرة الصّوفية الاستاتيكية هو "الفداء الفعّال". وهو يقول إنّ كثيراً ما تُوصف الصّوفية بمصطلحات مُضلّة، وثنائية،

9 المرجع السابق، الفصل الثاني.

10 Cf. Alfred Whitehead, *Adventures of Ideas* (New York: Free Press, 1967).

11 Reynolds, *Toward a Process Pneumatology*, 78.

12 David Butler, *Western Mysticism* (London: Everyman's Library, 1919), 50.

13 Reynolds, *Toward a Process Pneumatology*, 80–83.

و"باردة"، لكنه يسعى لإظهار أنّ الصّوفيّة مغروسة في الجانب المؤثّر من الحياة، وفي شوقٍ إلى الوحدة. ويظلّ هناك شيء آخر جدير بالملاحظة هو أنّ النّشوة في التّفليد الصّوفيّ عضويّة وليست ردّ فعل ثابت. ويقدم رينولدز خلاصته بقوله:

يوفّر الأدب الصّوفيّ شرحاً ملموساً لعلم الرّوح القدس الفعّال والجماليّ، والذي له معنى وقيمة، ...، ويقدم الإدراك الصّوفيّ الأساسيّ عن الله، والمنتشر في العالم، أساساً للرّوحانيّة، والتي لا توجد فيه قداسة في انفصال عن العالم الماديّ-الفاني، لكن بتغلغل أعمق في العالم.^{١٤}

الرّوح القدس الديناميكيّ

أحد الصّراعات الخاصة بعلم الرّوح القدس هي محاولة ربط الرّوح القدس بالنّظام الماديّ-الزمنيّ. وبحسب رينولدز، ففي الأزمنة المُبكرّة، تمّ افتراض أنّ الله، باعتباره روح بشكلٍ محض، يُناقض كلّ أشكال القابلية للتغيّر، والتّعدديّة، وزمنيّة العالم الفسيح الفاني. وهذا يجعل الأمر صعباً؛ إنّ لم يكن مستحيلاً الحديث عن الله كحضور حرفيّ أو متغلغل في الكون.

لمواجهة هذا التّحدّي، يقدّم رينولدز حواراً غريباً مع إيريناوس. فقد رفض إيريناوس أنّ الرّوح القدس هو معطي الحياة، والعنصر الأساسيّ الذي يفسّر الطّبيعة: "إنّ نسمة الحياة التي تعطي الإنسان الحياة هي شيء، والرّوح المحفّزة المانح الرّوحانيّة شيء آخر."^{١٥} لكن هناك بعض الجوانب في فكر إيريناوس تُعزّن عن مفهوم المحايثة الإلهيّة، والذي يسميه رينولدز "الخلاص العضويّ"، من خلال المسيح الكونيّ. ويشير رينولدز إلى أنّ تنفيذ إيريناوس للغنوسيّة يعمل على تجاوز أيّ نوع من ثنائيّة الرّوح والمادة. بل بالحريّ، جاهد لكي يجمع أو يوحّد بين الرّوح والمادة، والجسد والنفس، والخليقة والفداء. كما تقترح نظريّة الاسترداد لإيريناوس منظوراً ديناميكياً بدلاً من المنظور الاستاتيكيّ للعالم والخليقة. علاوةً على ذلك، فإنّ رأيه في الخلاص، كنضج وتحقيق، يعتمد على "فكرة عضويّة لرباط قويّ بين الله والعالم، وأيضاً بالرّوح القدس باعتباره محبّة مُغيّرة ومُبدعة."^{١٦}

١٤ المرجع السابق، ١٠٣.

١٥ المرجع السابق، ١١٠.

١٦ المرجع السابق، ١١١.

كما يلاحظ رينولدز على عكس الكبادوكيين وأثناسيوس، أنّ هناك خاصية فريدة ومميّزة للروح القدس هي الحركة، والقوة المتحركة. وهذا يشير إلى جانب ديناميكيّ في الله.^{١٧} وبشكلٍ مُماثل، فإنّ حوار رينولدز مع أغسطينوس هو حوار مستنير، لأنّه يسعى لإيجاد أمور مشتركة بين التقليد الكلاسيكيّ وتأكيدات العضويّة. فبالنسبة لأغسطينوس، فإنّ عدم القابليّة للتغيّر والصفات التوحيدية الأخرى كانت هامة، ولكن من الناحية الأخرى، يبدو أنّ أغسطينوس يقترح أنّ جمعنا شركاء في صميم جوهر الله. وبالرغم من وجود أمور غامضة وخطيرة في مفهوم أغسطينوس عن الروح القدس، إلّا أنّه يصف الروح القدس بأنّه الله المتّصل بالعالم بشكلٍ ديناميكيّ.^{١٨} ويهتم تلخيص رينولدز بالملامح المعروفة بشكلٍ ضئيل عن عقيدة أغسطينوس في الروح القدس، والتي يُعلّنها كالتالي:

علينا أن ندرک أنّ الخليقة هي عملية مستمرة وديناميكية، والتي من خلالها تحفظنا محايثة الله في الوجود بأعمال إرادته المتتالية. وفي فكر أغسطينوس، يوجد اعتراف قويّ بالروح القدس باعتباره حضور إرادة المحبة والإرادة الحيّة بدلاً من الإرادة المجردة. وهناك ميل قويّ هنا إلى الاحتمالية والاعتمادية المتبادلة لكلّ الواقع: يستمر الكون إذا استمر في إرضاء الله. لذلك هناك تجديد في الطبيعة. فإذا كان كلّ شيء مُحدّد سابقاً، فلن يكون هناك شيء مُحتمل. وفي الحقيقة، إنّ التأكيد الذي وضعه أغسطينوس هنا عن الروح القدس، باعتباره المكمل، يشير إلى أنّه الفكر الأمثل عنه، وذلك باعتباره الروح القدس المبدع، وأنّ عمله مستمرّ. وهكذا، فإنّ الروح القدس هو حقيقة ديناميكية: فهو يشع معطياً الحياة، والطاقة الإبداعية، ...، ويستمرّ الروح القدس في عمله بالتاريخ كخالق وفادٍ، لذلك يهتم الروح القدس بالحياة كلّها، ليس فقط بتلك المجالات التي نراها بشكلٍ مُحدّد روحيّة أو كنسيّة. ويجب أن نلاحظ أنّ هناك موضوع مشابه موجود في فقرة طويلة في كتاب *أساسيات الإيمان المسيحي Institutes* [١٥. ٢] لكالفن Calvin.^{١٩}

أحد جوانب تفكير رينولدز الأكثر إبداعاً أنّه يرى مكان الروح القدس في الثالوث كجسر للفكر العضويّ: "يشير الثالوث إلى أنّ هناك عناصر للنسيّة، والتعقيد، أو التعددية والتعبرّ خلال طريقة مختلفة من الألوهية البسيطة، والثابتة، والجوهرية."^{٢٠} بالإضافة إلى ذلك، يُظهر تجسّد أقنوم واحد في الثالوث

١٧ المرجع السابق، ١١٦-١١٩.

١٨ المرجع السابق، ١١٩-١٣١.

١٩ المرجع السابق، ١٢٥.

٢٠ المرجع السابق، ١٣٢.

أن الله يستطيع أن يأخذ صورة مادية ويتغلب على الثنائية السائدة في الألوهية. وفي الحقيقة، يجادل رينولدز أن عقيدتي التجسد والكفارة ربما تخدم مفهوم أحادية القطبية في الرّوح القدس باعتباره غير قابل للتغيير: تُشير هذه العقائد إلى كائن غير محدود يعاني لأجل خطايانا. في حين، يسوع كائن زمني: وقد عانى.

تطور علم الرّوح القدس

أخذ تطور عقيدة روح الله في الصورة الكاملة خطواته الأولى بناءً على الفلسفة العضوية واللاهوت العضوي. وحاولت ملامح كثيرة للفكر جعله واعدًا ومتحديًا. وتقدم التعليقات التالية تلخيصات ومقترحات لمزيد من الأفكار:

- يأخذ علم الرّوح القدس العضوي محاثة الله بجديّة: فالله بالرّوح القدس موجود في كلّ الخليقة والبشر.
- يمكن وصف الرّوح القدس بأنه متفاعل وحساس - وأيضًا قابل للضعف - تجاه الأحداث الطارئة في الطبيعة والتاريخ.
- بشكلٍ مُسبق، يفترض مفهوم الله الرّوح المُحب العلاقاتية والقبلية للألم والتغيير. ويسمّي بعض لاهوتي الفكر العضوي الفعّالين الرّوح القدس بشكلٍ مناسب "المحبة الخالقة والمتجاوبة".
- هناك فُكر "ثالوثي" واضح: الرّوح القدس باعتباره طبيعة ناتجة عن الله الذي يهتم بالتجاوب الحميم مع الخليقة.
- الحياة في الرّوح القدس لا تُخلق فوق العالم، بل هو التّفعل المُمكن والأكمل لقدراتنا من أجل الوجود الخلائقي. فهناك علاقة متبادلة بين العالم الذي يشملنا، والله.
- إنّ العلاقة بين روح الله وروح الإنسان هي علاقة متبادلة: كلّ الأشخاص لديهم القوّة لتشكيل مصيرهم، لكن تفعيل هذه القوّة الكامنة مبني على وجود محبة الله المتجاوبة أو المقنعة.
- الرّوح القدس في اللاهوت العضوي ليس طاقة خارقة للطبيعة معجزية تغمر البشر وتملئهم (ثمحي شخصياتهم)؛ لكن بالعكس، فالرّوح القدس يُظهر التّعبير الأكمل للقدرات الكامنة للخليقة.

علم الرّوح القدس المحرّر

البحث عن الحرّية

بحسب يورجن مولتمان Jürgen Moltmann، فإنّ لاهوت التّحرير في أمريكا الجنوبيّة هو أوّل إطار مُقنع يجمع بين الإيمان بالله والإرادة الحرّة كما علّمت التّقاليد الكتابيّة. وبسبب هذا التّوجّه، فإنّ لاهوت التّحرير تحدّى ليس فقط المؤسسات السياسيّة لكن أيضاً اللاهوت المسيحيّ التّقليديّ وعلم الرّوح القدس.²¹ ويرى مايكل ويلكر Michael Welker في ظهور أنواع من لاهوت التّحرير علامةً أكيدةً على عمل جديد للرّوح القدس في العالم.²²

بالرّغم من أنّ مولتمان يرى الخطر الكامن في جعل اللاهوت أسيراً لقرينة معيّنة، وذلك عندما نبدأ بعلم الرّوح القدس بخبرة تاريخيّة ودينيّة كما يفعل لاهوت التّحرير. وهو يرى هذا باعتباره تصحيحاً لـ"اللاهوت المينافيزيقيّ والمتسامي أو أنواع اللاهوت الشّخصيّة"، والتي غالباً ما تشتمل على أنواع لاهوت تقليديّة. ومن خلال تركيزها على التّاريخ الحقيقيّ، لا يُفرّق لاهوت التّحرير بين نوعين من التّاريخ: التّاريخ الدّنيويّ وتاريخ الخلاص، ولا يفرّق بين الخليقة والفداء، أو الطّبيعة والنّعمة.²³

نال جوزيف كومبلين Joseph Comblin، وهو لاهوتيّ كاثوليكيّ بيلاجي، وراع وناقد اجتماعيّ، عاش وعمل في أمريكا اللّاتينيّة منذ عام 1958م، اختبار الرّوح القدس في أمريكا اللّاتينيّة، وكانت هذه هي شرارة البدء لدراسته لعلم الرّوح القدس تحت عنوان الرّوح القدس والتّحرير.²⁴ وأطروحته الأساسيّة هي أنّ "اختبار الله الموجود في المجتمعات المسيحيّة الجديدة في أمريكا اللّاتينيّة يمكن أن يُطلق عليه حقّاً اختبار الرّوح القدس." لكنه خطأً اللاهوت الغربيّ مع تجاهله للرّوح القدس، فيرى كومبلين أنّ "معظم المسيحيّين الذين أصلحوا مجتمعاتهم لم يعرفوا أنّ ذلك [اختبار الرّوح القدس] هو

- 21 Jürgen Moltmann, *The Spirit of Life: A Universal Affirmation*, trans. Margaret Kohl (Minneapolis: Fortress Press, 1992), 109.
- 22 Michael Welker, *God the Spirit*, trans. John F. Hoffmeyer (Minneapolis: Fortress Press, 1994), 16–17.
- 23 Moltmann, *Spirit of Life*, 110–112.
- 24 Joseph Comblin, *The Holy Spirit and Liberation* (Maryknoll, NY: Orbis, 1989).

اختبارهم؛ بسبب تربيّتهم الدّينيّة، فالرّوح القدس يظلّ الشّخص العظيم المجهول بالنّسبة لهم.^{٢٥} وفي الواقع، يُصِرُّ كومبلين أنّ المسيحيّة نفسها تستند على اختبار الرّوح القدس. والعهد الجديد واضح تمامًا في هذه النّقطة. والطّريقة التي اتبعتها كومبلين في تقديم دراسته هي نظرة عامة على العهد الجديد.

كان الفقر، الذي هو اهتمام رئيسي آخر للاهوت التّحرير، باستمرار تحدّيًا للكنيسة. وإحدى الطّرق التي تجاوزت فيها الكنيسة في الماضي هي الفقر التّطوعي. ففي القرون الوسطى، سارت حركات التّقشف الرّوحي، والتي أطاعت إلهام الرّوح القدس ونسبت دعوتها للرّوح القدس، جنبًا إلى جنب مع الحركات السّياسيّة الشهيرة. وتقدّم أنظمة الفرنسيسكان مثالاً لهذا النّوع من التّجديد الرّوحي. ويهتم كومبلين بسيطرة روحانيّة "النّخبة" أكثر من اهتمامه بروحانيّة "الفقراء".^{٢٦}

عودة ظهور اختبار الرّوح القدس من جديد

في مجتمعات التّحرير، مثل مجتمعات التّمرّكز الكاثوليكيّ في أمريكا الجنوبيّة، يرى كومبلين اليوم إعادة ظهور جديد لاختبار الرّوح القدس، المُعلن في قراءة الكتاب المقدّس، والصّلاة، والحيويّة. ويشمل اختبار الرّوح القدس جوانب أخرى كالآتي:

أولاً، إنّ اختبار العمل. فعادةً يتصرف الفقراء عن طريق آخريّن؛ لكن الآن يفعلون بأنفسهم. والنّاس الذي عادةً ما يكونوا سلبيين مثل الهنود الحُمْر، والعبيد السّود، وسكان الأحياء الفقيرة، والعاطلين، والقرويين، تحفّزوا بالقوّة من الرّوح القدس ليقوموا بدورهم في تحسين حياتهم. وربّما يكونون غير مدرّكين لتحريك الرّوح القدس لهم، والذي يتمثّل في وعيهم الذاتيّ بارتباطهم بالنّشاط. وفي الواقع، ربّما يشعر المجتمع أنّ شيئاً جديداً آتياً في وسطهم. ويطلق عليها كومبلين "اختبار الولادة الثّانية"، وينسبه إلى الرّوح القدس.^{٢٧}

ثانياً، إنّ اختبار الحرّيّة. فلمدّة خمسمائة عام، كان لدى شعوب أمريكا اللّاتينيّة اختباراً ضئيلاً للحرّيّة. فقد شعروا أنّ العالم الطّبيعيّ والاحتياجات الماديّة تسيطر عليهم بشدّة. ومع الأخذ في الاعتبار الأشخاص الآخريّن، فإنّ

٢٥ المرجع السابق، xi.

٢٦ المرجع السابق، خاصّة ٥١-٥٥.

٢٧ المرجع السابق، ٢١.

هذا الإحساس بالاستعباد كان أقوى. كما يلاحظ كومبلين أن الفقراء شعروا بأنّ القوانين الكنسيّة للكاثوليك كأنّها قوانين مُسيطرة.

لكن الرّوح القدس يُحرّر النّاس حتّى من الخوف من الموت. وأهم شيء هنا هو أنّ تلك الحرّيّة لا تأتي من الخارج: "لا أحد يستطيع تحرير غيره."^{٢٨} ويتحدّث مولتمان عن عمل الرّوح القدس في التّحرير من خلال ثلاثة أبعاد، ويربطهم بثلاثة قيم كلاسيكيّة: (١) الإيمان المُحرّر: الحرّيّة باعتبارها خضوع؛ (٢) المحبّة المُحرّرة: الحرّيّة باعتبارها اجتماعيّة؛ (٣) الرّجاء المُحرّر: الحرّيّة باعتبارها المستقبل.^{٢٩} وبحسب كومبلين، فبالرغم من أنّ الحرّيّة توجّه التّضمينات الاجتماعيّة والاقتصاديّة، إلّا أنّها ليست في المكانة الأولى كحدث سياسيّ أو اقتصاديّ لكنها ميلاد لشخصيّة جديدة.^{٣٠}

ثالثاً: إنّ اختبار التّحدّث. فالفقراء يتكلمون، وهذا واقع جديد في أمريكا الجنوبيّة. فقد تحدّثوا دائماً في البيت، والحقول وأماكن النّسوق عن الأمور غير الهامة فقط. وبفضل قوّة الرّوح القدس وتشجيعه، أصبح لكلّ شخص شيء ما يستحق أن يقوله حتّى للسلطات. وإذا كان النّاس الذين يتكلمون متعلّمين، سيكون هذا حدثاً طبيعيّاً، لكن النّاس الذين يتكلمون اليوم علناً يفعلون ذلك دون أن يحصلوا على تدريب عقلائيّ.

رابعاً، إنّ اختبار الجماعة. "عمليّاً، بالنسبة لسكان أمريكا الجنوبيّة، فالجماعة شيءٌ مُكتشف."^{٣١} وقد حاول المجتمع إعاقة أيّ ظهورٍ لروح الجماعة بين الفقراء. فقد أُجبر الهنود الحمر على التّشثت والتّهجير؛ ولم يُسمح للقرويين أن يجتمعوا معاً في القرى، بل عليهم أن يعيشوا حيثما يعيش مالك الأرض؛ فلم يختبر السّكان الأصليين الجماعة. هذا هو السّبب الذي جعل الجماعة معجزة. فليس من الطّبيعيّ أن يكون هناك مفهومًا للجماعة، أو أن يبرز وعياً جديداً من وسط السّكان، كما حدث، ومن وحي التّاريخ والجغرافيا، فإنّه بعيداً عن أيّ نوع من الارتباط؛ يُعدّ ذلك معجزة من الله.^{٣٢}

٢٨ المرجع السابق، ٢٤.

29 Moltmann, *Spirit of Life*, 114–120.

30 Comblin, *Holy Spirit and Liberation*, 25.

٣١ المرجع السابق، ٢٧.

٣٢ المرجع السابق، ٢٨.

فيلي-ماتي كاركاين: علم الرّوح القدس القرينيّ

أخيرًا، إنّه اختبار الحياة. الذي ينبع من اختبار الموت. فهناك طموح جديد في الحياة. فيحدث الموت بسبب انعزال الأفراد؛ وتتبع الحياة من التجمعات. فقد زرعت التجمعات المتحرّرة والقويّة توجُّهًا بأنّ "لا نحصل على المزيد، بل أن نكون المزيد."

اعترف كومبلين بصدق أنّ كلّ من هذه الجوانب يمكن شرحها بلُغة بشريّة أصيلة. لكن هناك أسباب مشروعة لنسبها لروح الله القدوس:

يشمل هذا الاختبار موضوعًا واحدًا: الله والخليقة متّحدان. إنّه اختبار الله في الخليقة، والخليقة في الله. وهو اختبار الله العامل فينا وفي العالم في نفس الوقت، رابطًا إيّانا بالعالم، ورابطًا العالم بنا، ليس في تواصلٍ غامض، أو بشكلٍ كونيّ؛ بل بطريقة عمل محدّدة ومحدودة.^{٣٣}

الرّوح القدس في العالم

يأتي كلّ من التحرّر والحريّة من روح المسيح، لكن علينا ألا نُحدّد عمل الرّوح القدس أو نقيّده داخل الكنيسة. فقد أرسل الرّوح القدس لشعب الله، لكن هذا الشعب موجود لأجل العالم. والرّوح القدس أرسل إلى العالم أجمع ليُحضّر خليقة جديدة، وعمل الرّوح القدس في الكنيسة خاضع لهذا الهدف.^{٣٤}

فنفس الرّوح القدس الواحد الذي أثار في القيامة هو أيضًا يلد الخليقة الجديدة المصنوعة على صورة الله وكذلك يعمل بقوة بين الأمم. ويمثّل يوم الخمسين دعوة من الخالق. وبقبول هذه الدّعوة، لن تفقد الشّعوب هويّتها، لأنّه في ملكوت الله يتحدّث كلّ شخص لُغة الملكوت، ويظلّ التّنوع في التّفافات قائمًا في وحدة بالمسيح. "فلا يجبر الرّوح القدس كلّ الشّعوب على ارتداء نفس الملابس."^{٣٥}

يتماشى هذا الفهم مع فكر المجمع الفاتيكانيّ الثّاني، وذلك حينما تحدّث عن "روح الله القدوس الذي يملأ الأرض."^{٣٦} وقد عملت الوثيقة التي تحمل عنوان "الكنيسة في العالم الحديث" على توسيع مفهوم الكنيسة التّقليديّ عن الرّوح القدس:

يعمل المسيح الآن في قلوب البشر من خلال قوّة روحه القدوس. وهو لا يُحقّر فقط رغبة للزّمن الآتي، لكنه، من خلال هذه الحقيقة، فهو يحرك وينقيّ

٣٣ المرجع السابق، ٣١.

٣٤ المرجع السابق، ٤٣.

٣٥ المرجع السابق، ٤٧.

ويَقْوِي أيضاً تلك الأَشْوَاق النَّبِيلَةَ الَّتِي يَجَاهِدُ بِهَا الْبَشَرُ لِجَعْلُوا حَيَاتِهِمْ أَكْثَرَ
إِنْسَانِيَّةً، وَيُقَوِّدُوا الْأَرْضَ كُلَّهَا لِلخُضُوعِ لِهَذَا الْهَدَفِ.^{٣٧}

لقد أدركَ المجمع بوضوح وجود الرُّوحِ القُدسِ ليس فقط في حركات تَهْدِيفِ
لِلتَّغْيِيرِ الاجْتِمَاعِيِّ وَالسِّيَاسِيِّ، بَلْ أَيْضًا التَّقَدُّمِ الاِقْتِصَادِيِّ، وَذَلِكَ عَنِ طَرِيقِ
الْعِلْمِ وَالتَّكْنُولُوجِيَا وَالاجْتِهَادِ؛ لِأَنَّ "الْإِنْسَانَ يَعْمَلُ دَائِمًا مِنْ خِلَالِ رُوحِ اللَّهِ
الْقُدُوسِ".^{٣٨}

الرُّوحُ الْقُدُسُ وَالْكَرَازَةَ

كَانَتْ تَسْعِينِيَّاتِ الْقَرْنِ الْمَاضِي عَقْدَ كَرَازَةَ لِلْكَنِيسَةِ الْكَاثُولِيكِيَّةِ حَوْلَ الْعَالَمِ. وَقَدْ
تَمَّ التَّرْحِيبُ بِ"الْكَرَازَةَ الْحَدِيثَةَ" بِمِصْطَلَحَاتِ الْحَمَلَاتِ الْكَرَازِيَّةِ وَتَدْرِيبِ
الْكَارِزِينَ، مِنْ رِجَالِ الْكَهَنُوتِ وَالْعِلْمَانِيِّينَ بِحِمَاسٍ. وَظَهَرَ كَثِيرٌ مِنَ الْحِمَاسِ
لِلْكَرَازَةَ فِي أَمْرِيكَا اللَّاتِينِيَّةِ، وَاشْتَمَلَ أَيْضًا عَلَى عَامَةِ الشُّعْبِ.
لَكِنْ، بِشَكْلِ مَنْظَمٍ بِمَا يَكْفِي، "تَمَّ تَضْمِينُ الرُّوحِ الْقُدُسِ فِي الْجِدَالِ الْمُرْسَلِيِّ.
وَيُمَثِّلُ هَذَا انْعِكَاسَ لَغِيَابِ الرُّوحِ الْقُدُسِ عَنِ اللَّاهُوتِ الْغَرْبِيِّ".^{٣٩} وَبَيْنَمَا كَانَ
كُومْبَلِينَ نَاقِدًا عَلَى الطَّرِيقِ الْكَرَازِيَّةِ الْمُبَكَّرَةِ، خَاصَّةً بَيْنَ الشُّعْبِ الْعَامِّيِّ، فَقَدْ
تَحَدَّى الْكَنِيسَةُ وَلاهُوتَهَا لَتَنْهَضَ مِنْ خِلَالِ الرُّوحِ الْقُدُسِ، لِتُولَدَ بِدَاخِلِهَا حِمَاسٌ
جَدِيدٌ لِتَوْصِيلِ الْإِنْجِيلِ لِأُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يَسْمَعُوهُ بَعْدَ. فمِشَارَكَةٌ كَلًّا مِنَ الْإِبْنِ
وَالرُّوحِ الْقُدُسِ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ الْقَانُونُ السَّائِدُ فِي الْإِرْسَالِيَّةِ، وَذَلِكَ بِنَفْسِ الْقَدْرِ
الْمَوْجُودِ فِي بَاقِي جَوَانِبِ الْمَسِيحِيَّةِ. فَالرَّسَالَةُ الْمَسِيحِيَّةُ لَيْسَتْ إِعْلَانًا عَنِ الْمَسِيحِ
فَقَطْ بَلْ عَنِ الرُّوحِ الْقُدُسِ أَيْضًا.

بِالإِضَافَةِ إِلَى ذَلِكَ، مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ كَانَ فَعَالًا قَبْلَ أَنْ تُتَصَلَ
رِسَالَةُ الْمَسِيحِ إِلَى غَيْرِ الْمَسِيحِيِّينَ. فَالرُّوحُ الْقُدُسُ يَعْمَلُ بِطَرِيقَةٍ سَرِيَّةٍ بَيْنَ
الشُّعُوبِ:

كَانَ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَامِلًا فِي الْأُمَّمِ الْوَتْنِيَّةِ وَفِي كُلِّ الدِّيَانَاتِ مِنْذُ بَدَأَ الْإِنْسَانِيَّةَ.
وَيَقُودُ الرُّوحُ الْقُدُسُ الْبَشَرَ وَالدِّيَانَاتِ فِي اتِّجَاهَاتٍ لَا نَعْلَمُ تَطَوُّرَهَا. وَكُلُّ مَا
يُمْكِنُنَا فَعْلُهُ هُوَ مَلاحِظَةُ عِلَامَاتِ الرُّوحِ الْقُدُسِ فِي عَمَلِهِ وَالتَّعَاوُنِ مَعَهُ. وَلَا
يُوجَدُ طَرِيقَةٌ نَتَوَقَّعُ بِهَا عَمَلَهُ. وَإِذَا قَادَ الرُّوحُ الْقُدُسُ الشُّعُوبَ لِلْمَسِيحِ، فَلَا نَعْلَمُ
مَا الْخَطُواتِ أَوْ الطَّرِيقِ الَّتِي اتَّخَذَهَا فَعْلِيًّا؛ وَفِي هَذَا نَحْنُ جُهَلَاءٌ مِثْلَ الْوَتْنِيِّينَ.

^{٣٧} المرجع السابق، ٣٨.

^{٣٨} المرجع السابق، ٤١؛ ٤٩-48. Comblin, *Holy Spirit and Liberation*.

39 Comblin, *Holy Spirit and Liberation*, 161.

فيلي-ماتي كاركاينن: علم الرّوح القدس القرينيّ

وفي الحقيقة، نحن نعرف أقلّ مما يعرفون، لأنّ علامات الرّوح القدس أعطيت لهم أولاً وليس لنا. وعلينا أن نتعلم منهم كيف يعمل الرّوح القدس في تطوّرهم.^{٤٠}

بجانِب إعداد الشّعوب لاستقبال الإنجيل وقبول إرادة برّ الله، يُعدّ الرّوح القدس أيضاً الكنيسة وسط الشّعوب. فتتعلّم الكنيسة تقديم المسيح بنفس الطّريقة التي قدّم به نفسه: طريق التّواضع والصّليب. لقد نشأ المسيح في بيئة فقيرة، وسط الفقراء. وقدّم نفسه كشخص بلا قوّة. إنّه الرّوح القدس الذي يقود النّاس في طريق الاتّضاع والفقير. "بهذه الطّريقة، اتّحد المسيح والرّوح القدس في الإرساليّة أيضاً، ووجدتُهما فقط في الإرساليّة تجعلها مُمكنة في الظروف الراهنة من تاريخ الإنسانيّة."^{٤١}

علم الرّوح القدس البيئيّ

نحو عقيدة "خضراء" عن الرّوح القدس

في السّنوات الأخيرة، دخلت كلمات جديدة على اللاهوت المسيحيّ مثل: روحانيّة الخليقة والبيئة العميقة والأنثويّة البيئيّة وحركة حقوق الحيوان وشفاء الأرض و *gaia-hypothesis*^{٤٢} وعلم الرّوح القدس البيئيّ وعلم الرّوح القدس الأخضر (البيئيّ)، إلخ. لقد كان هناك تحوّلاً واضحاً من الإطار المتمركز حول الإنسان إلى الإطار المتمركز حول البيئة.

في مقالٍ مستنقز، هاجمَ لين وايت Lynn White المسيحيّة، وذلك من خلال نظرة استغلاليّة كانت سبباً في ظهور الأزمة البيئيّة في الغرب.^{٤٣} وتنتج الأزمة البيئيّة الوشيكة، بحسب هذا الرّأي، من التّقليد اليهود-مسيحيّ، بناءً على تكوين ١: ٢٦، والنّصوص المرتبطة بها. وبحسب هذا التّفسير، فإنّ الطّبيعة خدمت البشر، وقد قبلت المسيحيّة مبدأً استغلاليّاً يسمح للعلم والتّكنولوجيا أن يخرجا كأدوات لهذا الاستغلال.

٤٠ المرجع السابق، ١٦١.

٤١ المرجع السابق، ١٦٢.

٤٢ تطرح *Gaia-hypothesis* علاقة ضروريّة مشتركة بين الإنسان والحيوان والحياة الطّبيعيّة من جهة وحالة الخليقة من جهة أخرى.

43 Lynn White, "The Historical Roots of Our Ecological Crisis," *Science* 155 (1967): 1203–1207.

كان مولتمان حساسًا للأضرار الحادثة للخلیقة، فناقش في كتابه الله في الخلیقة: لاهوت جديد للخلق وروح الله،⁴⁴ أن الأمر الكتابي للخضوع هو وصية وصية إلهية: فالبشر والحيوانات على السواء يجب أن يعيشوا على ثمار الأرض. فلا يُقصد الاستيلاء على قوّة الطبیعة. كما ألقى مولتمان الضوء على البعد الاجتماعيّ السياسيّ للأزمة البيئيّة، ودعى إلى فحص بنية قوّة المجتمع. إنّ العِلْم ليس محايدًا؛ فهو مرتبط بالسياسة. لذلك دعى مولتمان إلى مرحلة جديدة من العلاقة بين اللاهوت والعِلْم: ما دام البشر على قيد الحياة، فإنّ هذين المجالين من الدّراسة يجب أن يرى كلّ منهما الآخر كشريك في الأزمة البيئيّة. ومهمة اللاهوتيّ هي الإجابة على السّؤال "كيف نفهم الطبیعة على أنّها خلیقة الله؟" يجب مولتمان قائلاً إنّ الطبیعة ليست إلهية ولا شيطانية. وينبغي ألاّ نصنع الطبیعة بصبغة إلهية كما يفعل فكر عقيدة العصر الجديد، ولا نرفضها كما يحدث في بعض الأشكال المتطرّفة من الفكر الدينيّ.

بحسب فكر مولتمان، يساعدنا "السّموم المحدث" على أن نركّز على العلاقة التوافقية بين الرّوح القدس والطبیعة. فالأب هو مصدر إبداع الخلیقة؛ والمسيح الكونيّ هو أساس وجود هذه الخلیقة، والرّوح المحيي هو المصدر الذي يعطي الحياة. فمن خلال الرّوح القدس يشارك الله في مستقبل الخلیقة، ومن خلال الرّوح القدس يعاني الله ما تعانيه المخلوقات. وبالتالي، فإنّ محاينة الرّوح القدس تدمر ثنائية الله والطبیعة التي اتسم بها التقليد الغربيّ. وهناك أيضًا تأكيد اسخاتولوجيّ: فليس كافيًا التنبير على صلاح الخلیقة في الماضي (تك ١). فعلينا أن نوکّد على الانتظار المتشوق للخلیقة في ظلّ الفوضى، لأنّ الرّوح القدس "ينن" لتحرير الخلیقة وأبنائها (رو ٨: ١٩-٢١).⁴⁵

ناقشت مؤخرًا سالي ماكفيج Sallie McFague، من بين آخرين، أهمية علم الرّوح القدس للحفاظ على الأرض. وفي كتابها الأوّل نماذج الله: لاهوت لعصر البيئة والذرّة⁴⁶، ناقشت ماكفيج بشكلٍ نقديّ بشدّة أهمية علم الرّوح القدس

44 Jürgen Moltmann, *God in Creation: A New Theology of Creation and the Spirit of God* (San Francisco: Harper & Row, 1985).

45 Moltmann, *Spirit of Life*, esp. 31–38. Cf. Jürgen Moltmann, *The Source of Life: The Holy Spirit and the Theology of Life* (Minneapolis: Fortress Press, 1997).

46 Sallie McFague, *Models of God: Theology for an Ecological, Nuclear Age* (Philadelphia: Fortress Press, 1987), esp. 169–172.

في التّعليم عن الطّبيعة. فقد انتقدت الوصف التّقليديّ/القديم للرّوح القدس بأنّه غير مادّي وفارغ، وتوصّلت إلى أنّ لغة الرّوح القدس مصدر غير كافٍ لإنجاز مهمة شفاء الأرض؛ لأنّ هذه اللّغة "بلا شكل، وغامضة، وبلا لون." وفي أحدث كتبها **جسم الله: لاهوت بيئيّ**^٧، قدّرت ماكفيج دور علم الرّوح القدس في شفاء الأرض، لأنّه يعلن محايدة حضور الله في الخليقة من خلال الرّوح القدس.

"إعادة اكتشاف الرّوح القدس في عصر البيئية الثوريّة"^٨

لاهوتياً، إنّ أهم نوع من "علم الرّوح القدس الأخضر(البيئي)" يمكن أن يوجد في كتاب مارك والاس Mark Wallace **لمحات عن الرّوح القدس: الطّبيعة والعنف وتجديد الخليقة**^٩. فيناقش مارك أنّه كان هناك تغيير عميق في الإدراك الرّوحيّ في ثقافتنا: حيث يدرك الكثيرون أنّنا نعيش في "عصر الرّوح القدس." وكنيجة لذلك، ظهر تقدير جديد لمعتقّي الدّين المبني على الطّبيعة، من النّاس البسطاء إلى الوثنيّين الجُدد. وقد صرّح أصحاب الإدراك الرّوحيّ بأنّ توقيّر الرّوح القدس في كلّ مجالات الحياة هو أفضل ردّ مُبشّر على تهديد الدّمار البيئيّ العالميّ:

يبدو أنّ هناك رأي دخیل يقول إنّ موضوع علم الرّوح القدس هو التّركيز الصّحيح للاهوت مسكونيّ، والذي يتحدّث إلى آمالنا وأشواقنا الرّوحيّة التي نتمناها لعصرنا. ...

هل يمكن أن يكون هذا أكثر ردّ فعل قهريّ على تهديد الأكاذيب البيئيّة في شفاء الرّوح القدس باعتباره كائن طبيعيّ حيّ يعيش في ويحفظ كلّ أشكال

- 47 Sallie McFague, *The Body of God: An Ecological Theology* (Minneapolis: Fortress Press, 1993), 141–150.
- 48 Cf. Mark I. Wallace, "The Green Face of God: Rediscovering the Spirit in an Age of Radical Ecology," in *Advent of the Spirit: Orientation in Pneumatology*, Conference Papers from a Symposium at Marquette University, April 17–19, 1998 (unpublished).
- 49 Mark I. Wallace, *Fragments of the Spirit: Nature, Violence, and the Renewal of Creation* (New York: Continuum, 1996). Cf. Peter C. Hodgson, *Winds of the Spirit: A Constructive Christian Theology* (Louisville: Westminster John Knox, 1994); Chung Hyun-Kyung, "Welcome the Spirit, Hear Her Cries: The Holy Spirit, Creation, and the Culture of Life," *Christianity and Crisis* 51 (July 15, 1991): 220–223; Elizabeth A. Johnson, *She Who is: The Mystery of God in Feminist Theological Discourse* (New York: Crossroad, 1992).

الحياة؟ هل يمكن أن يكون هذا استعادة لرؤية الروح القدس بطريقة متمركزة على الأرض باعتباره الوجه الأخضر لله في العالم في أفضل أساس للرجاء والتجديد في جزء من تاريخ الإنسانية عندما تخطط رغباتنا الطامعة لتدمير الأرض؟^{٥٠}

لقد بحثّ والاس بشكلٍ عميق في التقليد اللاهوتي ليجد مصادر تخدم الأغراض المعاصرة. وكتب تعليقًا قويًا على قانون الإيمان النيقاوي، حيث سُمّي الروح القدس "الرّب المُحيي". فيوسّع نموذج الروح القدس المتمركز حول الحياة النور الداخلي للروح القدس في الثالوث، ليشمل دورًا بيولوجيًا مركزيًا، وذلك باعتباره قوّة الشفاء والتجديد في الخليقة. وهذا النموذج يستعيد صور كتابيّة مؤكّدة للروح القدس في الكتاب المقدّس، والتي جاء ذكرها في الكتاب المقدّس بهدف مواجهة الكارثة البيئيّة.

بالنسبة لوالاس، فإنّ أفضل طريقة لفهم الروح القدس ليس باعتباره كيانًا فوق طبيعيّ بل باعتباره قوّة حياة شافية: فهو يريد أن يتحدّث عن "علم الروح القدس البيئيّ". في مقابل "علم الروح القدس الميتافيزيقيّ". وبُناءً على كثير من الصّور الكتابيّة والحرفيّة – الماء والنور والحمامة والأمّ والنار والتّسمة والرياح – فإنّ الروح القدس لا يُفهم كأنه عقل إلهيّ أو علّة الوعي، بل كشكل من أشكال الحياة الشّافية والمدمّرة. بكلمات أخرى، يفضل والاس فهماً "بلاغياً" (مستخدمًا صورًا ملموسة في الكتاب المقدّس) على الفهم "الفلسفيّ" (المجرّدة، والمبنيّة على الأفكار، مثل أفكار هيجل Hegel).^{٥١}

يتساءل والاس عن السبب وراء "الاعتقاد في هويّة الروح القدس البيئيّة" في إطار الحقيقة التي تقول إنّ كثير من الصّور الكتابيّة تُجسّد الروح القدس في الطّبيعة. فعلى سبيل المثال، نشاهد الروح القدس في:

- التّسمة التي تُحرّك الحياة كلّها (تك ١: ٢؛ مز ١٠٤: ٢٩-٣٠).
- الرّيح الشّافية (قض ٦: ٣٤؛ يو ٣: ٦؛ أع ٢: ٤-١٤).
- المياه الحيّة (يو ٤: ١٤؛ ٧: ٣٧-٣٨).
- ألسنة النّار (مت ٣: ١١-١٢؛ أع ٢: ٤-١).
- الحمامة الإلهيّة (تك ٨: ١١؛ مت ٣: ١٦؛ يو ١: ٣٢ وما بعدها).^{٥٢}

في اللاهوت والفلسفة الغربيين، فإنّ مفهوم الرّوح "تمّ محاربة معظمه من خلال صعوبات، وتوصيل شيء ما تافه وثنائي، وتضمين انفصال وتراثبية بين العقليّ والجسديّ، والنفس والجسد، والإنسان والطبيعة، والذكر والأنثى، والمقدس والنّجس".^{٥٥} ويصف علم الرّوح القدس البيئيّ الرّوح القدس بأنّه "كانن حيّ مُجسّد" يعمل لشفاء البيئة والمجتمعات، وكقوة شفاء "جامحة ومتمردة طبيعية".^{٥٦} وبحسب هذا الرّأي، فإنّ عمل الرّوح القدس غير متمدّن، فهو يضع نشاطه جنباً إلى جنب مع الطبيعة. فضلاً عن ذلك، فإنّ الطبيعة نفسها تُفسّر كشكل مبدئيّ للكيان الذي يعمل به الرّوح القدس في العالم.

الرّوح القدس والشركة والطبيعة

بطريقة مشابهة لفكرة مولتمان عن "شركة الرّوح القدس"^{٥٥} استعاد والاس الفكرة التي تقول إنّ الرّوح القدس هو "شركة". أخذ والاس من فكر أغسطينوس^{٥٥} وآخرين، لكنه وسّع نطاق المفهوم. ويُصرّ والاس على أنّ الرّوح القدس ليس مجرد قوّة العلاقة بين أقانيم الثالوث لكن أيضاً بين الله والخلقة كلّها. وهنا وجد ما يدعّم فكرته من الآباء الشرقيين، خاصةً باسيليوس القيصريّ، الذي وصف الرّوح القدس بأنّه ممثّل الاتحاد غير المنقسم في الثالوث. فيعمل الرّوح القدس باجتهاد بجانب الخالق والفادي باعتباره المُكمّل الذي يقوّي ويكمل العمل الإلهيّ للخلاص في العالم.^{٥٦} كما يشير والاس إلى رسامي الأيقونات في أواخر العصور الوسطى، والذين صوّروا الرّوح القدس بأنّه "رباط المحبة" و"حمامة" تضمّ جناحيها الأب والابن، وبذيلها وقدميها الطويلتين تربط بين الأقانيم الثلاثة.

في الحقيقة، فإنّ الرّوح القدس هو رباط المحبة في الطبيعة ليمنح الوجود القويم للخلقة. إنّ حضور الله في المسيح الحيّ خلال حفظ الرّوح القدس للطبيعة هو أساس اللاهوت الثالوثيّ المتمركز حول الطبيعة. لاهوتياً، من المهم أن نلاحظ أنّ هذا التركيز على الطبيعة لا يُضعف ولا يلغي الأدوار الأخرى للرّوح القدس، بل يُكمّل عمل الرّوح القدس.^{٥٧} وأصبحت

53 Hodgson, *Winds of the Spirit*, 276.

54 Cf. Moltmann, *Spirit of Life*, esp. 225–228.

٥٥ أغسطينوس، الثالوث ١٥.

٥٦ باسيليوس القيصري، الرّوح القدس ١٦.

57 Wallace, "The Green Face of God," 14.

هذه النظرة المتوازنة واضحة في مؤتمر مجلس الكنائس العالمي في جينيف عام ١٩٨٠م. فقد أشار المؤتمر إلى أنّ هناك ثلاثة توجّهات كبرى عن دور الرّوح القدس في العالم: (١) المدخل الكنسيّ: يعمل الرّوح القدس لأجل الوحدة والشّهادة الواحدة لجميع الكنائس؛ (٢) المدخل العالميّ: يُجَدِّد الرّوح القدس الخليقة ويمنح ملء الحياة؛ يشمل هذا الشفاء الجسديّ وشفاء العلاقات الاجتماعيّة؛ و(٣) المدخل الفرائضيّ: يقوم الرّوح القدس بدور الوسيط خلال التّجديد الشّخصيّ، والمعموديّة، والتّثبيت، والرّسامة، وهذا ما دفع اللاهوتيّين لتجديد فكرهم عن الرّوح القدس.

تشمل "عقيدة تجسّد الله" ثلاثة أجزاء. أولاً، منَح الرّوح القدس الخالق العالم نسمة الوجود، ومن خلالها جَسَدَ نَفْسِهِ في الخليقة وفي الحفاظ على النّظام الطّبيعيّ. ثانياً، تجسّدَت الحياة الإلهيّة في المسيح – مخلوق أرضيّ مثل آدم من التّراب. ثالثاً، هذا يقود إلى وحدة شركة مع المسيح في الرّوح القدس. وكلّ هذا، بالنسبة لوالاس، يدلّ على "تدخّل الله بنفسه في المجال الطّبيعيّ الَّذِي يحفظ الحياة".

من هذا المنطلق، فإنّ الطّبيعة هي تجسيد لمحبة الله الثالوثيّة. لأنّ الله يُجَسِّدُ إشفاقه الإلهيّ المتنامي لكلّ أشكال الحياة في تناغم مع نظام الطّبيعة. إنّ حبّ الثالوث الإلهيّ اللامتناهي، من أجل سلامة كلّ الأحياء، مُعلن في حفظ الله لنسيج الحياة الَّذِي هو ميراث حيويّ عام. ويُظهِرُ الله، باعتباره ثالوثاً، في خليقة الله الأب/الأم للمحيط الحيويّ، ومصالحة الابن كلّ الأشياء لنفسه، وهبة الحياة الّتي يمنحها الرّوح القدس لكلّ أعضاء النّظام المخلوق الَّذِي يعتمد على إحسانه في حياته اليوميّة. وباعتباره الخالق، فإنّ الله يُعلن في تعاقب الفصول، حيث يصبح فيها الزرع والحصاد تذكير مستمرّ للبركات الأصليّة للأرض. وباعتباره الفادي، فإنّ الله يُعلن في تفاعل مُعقّد للكائنات والأرض في الحياة المشتركة – نظام تدبير اعتماديّ يرمز له بشكلٍ مثاليّ في عمل المُصالحة الَّذِي أتمّه المسيح على الصّليب. وباعتباره الحافظ/الضامن، فإنّ الله يُعلن نفسه من خلال منحه نسمة حياة لكلّ أعضاء نسيج الحياة، كشهادة حيّة على إشفاق/تحنن الله على كلّ الأشياء.^{٥٨}

يُصِحِّح هذا الفهم من تحيُّزِ عِلْمِ الرّوح القدس الغربيّ: حتّى بالرّغم من أنّ الرّوح القدس كان يُعترَف به دائماً أنّه روح الله وروح الخليقة، وفي الماضي كان يأخذ الصّدارة بلا منازع.

الرّوح القدس المجروح

إذا كان الرّوح القدس والأرض متغلغلين داخلًا كلّ منهما في الآخر، وبالتالي غير منفصلين بل متميّزين. وبحسب هذا الرّأي، فإنّ "الأرض هي جسد الرّوح القدس." و"عندما نتحدّث بطريقة استعارية، فإنّ الله، باعتباره روحًا، يتجسّد بنفسه خلال الحركة الدّاخلية للطّبيعة."^{٥٩} وفي الحياة المتدقّقة في البشر والمخلوقات الأخرى، فإنّ تغييرًا جوهريًا يحدث في الله نفسه. وقد أصرّ والاس على أنّ "الله تجسّد بالكامل في الطّبيعة الخضراء، التي تقود كلّ أشكال الحياة إلى استمتاعها الطّبيعي في احتفال تسييح للرّوح القدس الخالق."^{٦٠}

وكما صار الله إنسانًا في يوم ما في جسد المسيح، فإنه يُجسّد نفسه دائمًا في واقع الحياة على الأرض. فيعطي كلّاً من الرّوح القدس والأرض الحياة. فيحيي الرّوح القدس الأرض بنسمة الحياة الإلهية المحرّكة، وتُجسّد الأرض الرّوح القدس عندما تُقدّم الغذاء الرّوحيّ والماديّ لكُلّ الأحياء. لقد صدّق والاس عندما لاحظ أنّ هذا تحدّي كبير للأرسطوطالية التقليديّة والعقيدة المُبكرّة عن الله التي تؤمن أنّه غير قابل للتغيّر وموجود بذاته، ولا يتأثر بشكل جوهريّ بالخلقة.

وكنتيجة مباشرة لذلك أنّه: إذا كان الرّوح القدس والأرض يعتمد كلّ منهما على الآخر، وبالتالي "يبدو أنّ الله الرّوح القدس قابل للجرح بسبب الفقد والإيذاء الخطيرين، وذلك عندما يُساء استخدام الأرض وتُسلب مواردها."^{٦١} ما زال الرّوح القدس حُرًا في قراره، لكنه قرّر أنّ يتجسّد في الأرض، ويضع الرّوح القدس نفسه في خطر: "بالتالي، فإنّ الله مرتبط داخلًا بالكون، فخالق البيئة عليه أن يتحمل مخاطر القرار بشأنها"^{٦٢} هنا يدفع والاس ضريبة فكرة مولتمان المتناقضة ظاهريًا في كتابه **الله المصلوب**، وبحسب ما جاء به فإنّ الله أمات على الصليب الموت الناتج من عدم الإيمان بالله، لكنه لم يموت.^{٦٣}

٥٩ المرجع السابق، ١٥.

Cf. McFague, *The Body of God*; Wallace, *Fragments of the Spirit*, 139–144.

60 Wallace, "The Green Face of God," 16–17.

٦١ المرجع السابق، ١٧.

٦٢ المرجع السابق.

63 Jürgen Moltmann, *The Crucified God* (New York: Harper & Row, 1974), 244; Wallace, "The Green Face of God," 16–17.

علم الرّوح القدس الأنثويّ

الرّوح القدس الأمّ

إنّنا نعيش في عصر "تفسير الاشتباه" (hermeneutics of suspicion)؛ فما كان مطمئنًا في الماضي، أصبح موضع تساؤل اليوم. وينطبق هذا على صورة الله كأب. فقد أصرت ماري دالي Mary Daly على أنّ نسب صفات شخصيّة لله كأب هي الرّمز الرّئيسيّ للرّئاسة. كما إنّها تدّعي أنّ صورة الله الأب تمنح شرعيّة للأنظمة التي تهدف إلى قمع المرأة، والتي نمت على أساسها سيطرة الرّجل.⁶⁴ وبحسب ما ذكرته روزماري روثر Rosemary Ruether، فإنّ معظم صور الله في الأديان تشكّلت بعد حكم الطّبقة الحاكمة في المجتمع.⁶⁵

يجب أن يتم مواجهة تحدّي اللاهوت النسويّ بكلّ أمانة. فلا يمكننا إنكار حقيقة أنّ استخدام لغة تشير لله كأب يمكن أن تقود – كما تفعل دائمًا في معظم الأحيان – إلى قمع اجتماعيّ للمرأة. حتّى بالرّغم من أنّه قد تكوّن مبالغة إنّ قلنا إنّ رمز الأبوة الإلهيّة كان سببًا في سوء استخدام القوة بغرض العنف، والاعتصاب، والحرب، فإنّه صحيح أنّ اللّغة لا تعكس فقط الواقع بل أيضًا تؤبّسه.⁶⁶

وبشكلٍ مثير للاهتمام، تنطبق الأسئلة التي طرحها علماء اللاهوت النسويّ على كلّ أغانيم التّالوث. هل يجب أن نخاطب الله كأب أو أمّ أو شيء آخر؟ كيف ترتبط ذكوريّة يسوع بالنّصف الآخر من الجنس البشريّ؟ وهل الرّوح القدس مُدكّر أم مؤنّث؟

حتّى بالرّغم من أنّ اللاهوت المسيحيّ كان بطيئًا في مواجهته للّغة الذّكوريّة التّقليديّة، فإنّ المشكلة ليست جديدة. فقد سخرَ غريغوريوس التّزينزيّ من مقاوميه الذين اعتقدوا أنّ الله كان ذكرًا، لأنّ الله يُدعى أب، أو أنّ هذه الألوهة مؤنّثة بسبب جنس/نوع الكلمة، أو إنّ الرّوح القدس جنس محايد، لأنّه ليس له اسم شخصيّ. لقد أصرّ غريغوريوس على أنّ أبوة الله لا تستطيع أن

64 Mary Daly, *Beyond God the Father* (Boston: Beacon, 1973).

65 Rosemary Ruether, *Sexism and God-Talk* (Boston: Beacon, 1983).

66 Cf. Ted Peters, *God—The World's Future: Systematic Theology for a Post-Modern Era* (Minneapolis: Fortress Press, 1992), 109–120.

تعمل شيئاً مع الزَّواج، والحمل، والولادة، أو جنس الفرد.^{٦٧} كما كان يلاحظ أيضاً، أننا لا نفكر كثيراً في الله كذَكَر، بالرَّغم من أننا نقول إنّ الله هو. فهذا استخدام تقليديّ للُّغة. ويلاحظ جوزيف كومبلين Joseph Comblin أنه بالمقارنة مع كثير من الأديان الأخرى، فإنّ إله المسيحيين لا جنس له: فلا يوجد أفتوم في الثَّالوث له جنس. لكنهم ما زالوا يعملون في الإنسانيّة والعالم، وكلّ أفتوم يظهر في اسم مُستعار مُستخدماً لُغة التَّوع.^{٦٨}

أكدّ بعض الكُتَّاب مؤخراً على الصّفات الأنثويّة أو الأموميّة للرُّوح القدس ليوازنوا الصّفات المُذكَرة للآب والابن. لكنهم حاولوا أن يبرهنوا أنّ تسمية الرُّوح القدس بالضمير المؤنث لا يعني أنّ الرُّوح القدس مؤنث والآب مُذكَر. وعلى التّقيض، فإنّ كلّ أفتوم هو/هي يسمو فوق التَّوع أو الجنس.

إنّ مخاطبة الرُّوح القدس بلُغة مؤنثة أو أموميّة لم يكن غريباً تماماً على اللاهوت المسيحيّ أو اليهودي. ففي اللُّغة العبريّة والسريانيّة كلمة "روح" مؤنثة، ممّا يساهم في التّغلب على اللُّغة الذكوريّة للآلوهة. وقد قارن كثيرٌ من الكُتَّاب المُبكرين الرُّوح القدس بحواء، وذلك لتكميل المقارنة بين المسيح وآدم. فالرُّوح القدس أعطى حياة، مثل حواء، ولعب دور الأمّ. سيقول البعض إنّ المرأة في رؤيا ١٢ هي الرُّوح القدس، وبذلك يرتبط الرُّوح القدس بالكنيسة.^{٦٩} وعلاوةً على ذلك، تحدّث علم الرُّوح القدس السريانيّ خلال القرنين الثَّالث والرَّابع عن الرُّوح القدس كأمّ.^{٧٠}

إنّ تطبيق الصّور الأنثويّة على الرُّوح القدس هو أمر شرعيّ كتابياً؛ لأنّ الكتاب المقدّس يشير إلى دور الرُّوح القدس الذي يشمل عادةً أنشطة مرتبطة بالأمومة والأنوثة بشكلٍ عام: الإلهام، المساعدة، الدّعم، الاحتضان، الولادة.^{٧١} وبالرَّغم من تأثير أغسطينوس على الغرب، فإنّ كلّ الإشارات الأنثوية تمّ حذفها من اللاهوت، وذلك بناءً على نظرتة السيئة للمرأة بأنّها لم تُخلق على صورة الله

٦٧ المرجع السابق، ١٠٩.

68 Comblin, *Holy Spirit and Liberation*, 50.

٦٩ المرجع السابق، ٤٩.

70 Bernd Jochen Hilberath, "Pneumatologie," in *Handbuch der Dogmatik*, ed. Theodor Schneider et al. (Dusseldorf: Patmos, 1992), 1:512–513.

71 Comblin, *Holy Spirit and Liberation*, 39; Hilberath, "Pneumatologie," 536–538.

بشكلٍ كاملٍ.^{٧٢} كما أظهرت كتاباته محايشة الله في روحانية دافئة، ومُحبة. ومن خلال التعبير عن الصفة الأنثوية للمحبة المُدلية، فإنّ الرّوح القدس يشير بوضوح إلى الجانب المؤنث في الله – وهو الجانب الحافظ والمتفتح في الله. وهكذا شبّه أغسطس الرّوح القدس بالدجاجة الأم.^{٧٣}

انتبّه لويس بيرميجو Luis Bermejo إلى حقيقة أنّ الرّوح القدس هو أكثر أُنوم في الثالوث مرتبط بالحميميّة. حتّى بالرغم من المفترض أنّ تكون لنا علاقة حميميّة مع كلّ أُنوم في الثالوث، ونفسياً، فإننا لا نستطيع توجيه نفس الانتباه لكلّ أُنوم من الثلاثة أُنوم في أيّة لحظة. فمن المفترض أنّ يكون لدينا اقتراب خاص بالرّوح القدس، ويتحقق هذا النوع من الحميميّة الذي يُعمق تكميلنا من خلال الوحدة مع آخر في شخص الرّوح القدس. بكلماتٍ أخرى، نحن لسنا مدعوين فقط أنّ "نؤمن" بالرّوح القدس؛ بل أيضاً أنّ "نشعر ونختبر" الرّوح القدس.^{٧٤}

"هي التي"

حاولت سالي ماكفيج Sally McFague الهرب من مشكلة النوع/الجنس، وذلك من خلال التحدّث عن الله باستخدام اللّغة المجازيّة. فهي ترى أنّ الحرفيّة "لا تصلح لعصرنا الحاضر"، وقد اقترحت تكثيف استخدام الصّور المجازيّة لجعل رمز الأبوة نسبياً، وإعطاء مساحة لرموز مُكمّلة مثل الله كالأمّ، والحبیب، أو الصديق.^{٧٥}

لقد شارك منهج اليزابيث جونسون Elizabeth Johnson التّشابهات مع منهج ماكفيج. فقد ناقشت جونسون في كتابها هي التي: سرّ الله في الحديث اللاهوتيّ النسويّ،^{٧٦} الذي نحتاجه لنرى ونتكلم عن سرّ الله باستخدام الصّور والاستعارات المؤنثة بهدف تحرير المرأة من الخضوع المفروض عليها من

72 Comblin, *Holy Spirit and Liberation*, 39.

73 Reynolds, *Toward a Process Pneumatology*, 125.

74 Luis Bermejo, *The Spirit of Life: The Holy Spirit in the Life of the Christian* (Chicago: Loyola University Press, 1989), 114–115; cf. Fatula, *The Holy Spirit*, 100–101.

75 McFague, *Models of God*; cf. Peters, *God—The World's Future*, 119–120.

76 Elizabeth Johnson, *She Who Is: The Mystery of God in Feminist Theological Discourse* (New York: Crossroad, 1992).

الصُّور الأبويَّة لله. فهي تفضّل "هي الَّتِي". وترى أنّ الأنثى تتّم سير الله باعتبارها "صوفيا" أو "الحكمة". وقد اقتنعت جونسون بأنّ النَّاس عندما يتحدّثون عن "الله" فهم غالبًا ما يشيرون إلى الرُّوح القدس. ويتحدّثون عن الحضور النّشيط لصوفيا في العالم، والذي يقوِّبنا ويشجّعنا للتكاتف مع الآخرين، خاصّةً أولئك الذين يعانون.^{٧٧}

الأمر الذي جعل منهج جونسون متفردًا أنّها لم تؤيّد الإشارة إلى الرُّوح القدس بتعبيرات مؤنّثة لأجل السّبب الذي يفترض أنّ الرُّوح القدس يشمل أيضًا "صفات أنثويّة". فهذه الممارسة تجعل المرأة خاضعة للرجل بالتّقليل من هويّتها وجعل دورها يقتصر فقط على الأمومة والخدمة. وعلى التّقيض، أكّدت جونسون أنّنا نحتاج أن نُشكّل علاقاتنا على نموذج صوفيا الذي فيه "العلاقة الدّاخلية" ولا مجال للخضوع. وصوفيا نفسها هي "أمّ الجميع الغير معروفة".^{٧٨} وبالنّسبة لجونسون فهناك علاقات مشتركة بين المرأة وصوفيا. فمن ناحية، المرأة هي صورة صوفيا، لكن من النّاحية الأخرى، فإنّ صوفيا نفسها هي صورة المرأة. وتسمية الله بالحكمة المؤنّثة "يشير إلى سيرّ حكمة الثّالوث الإقدس باعتباره صورة المرأة (*imago feminae*)."^{٧٩}

يحمل استخدام يورجن مولتمان Jürgen Moltmann للاستعارات الشّخصيّة، مثل "الرّب"، و"الأمّ"، و"القاضي" عن الرُّوح القدس، تشابهًا مع توجّه جونسون في عدم تقييد المجالات الأنثويّة للرُّوح القدس في جانب واحد من صفات "المرأة" كما يحدث دائمًا. وينطلق مولتمان من القسم الثّالث لقانون الإيمان النّيقاويّ-القسطنطيني الذي يدعو الرُّوح القدس "الرّبّ المحيي" أو "رّبّ ومناح الحياة"، بناءً على التّرجمة يقول مولتمان إنّ صورتين مجازيتين مُكمّلتين تُطبّقان على الرُّوح القدس: اختبار الحرّيّة والحياة الجديدة. إنّ لقب "الرّبّ" في الكتاب المقدّس، وتحديدًا في (٢كو ٣: ١٧)، لا يعمل شيئًا بخصوص العبوديّة. فتتحدّث قرينة هذه الآية عن التحرير، والاقتراب غير الممنوع من الرّبّ. فإنّ كان الرّبّ يُعلن عن الحرّيّة والتّحرير، فإنّ الاسم يُفهم بطريقة خاطئة ويشوّه سمعته إذا تُرجم بلغة أفكار ذكوريّة للقواعد. ولتجنّب ذلك، ينبغي أن يُكَمَّل الاسم باسم شخص يعطي ويحفّز الحياة. فبالنّسبة للرّسول بولس، هذا الاسم هو المسيح

٧٧ المرجع السابق، ١٢٧-١٤١.

٧٨ المرجع السابق، ٥١-٥٣، ١٤٣-١٤٤؛ cf. Fatula, *The Holy Spirit*, 94.

79 Johnson, *She Who Is*, 215.

الَّذِي أَصْبَحَ "الرَّوْحَ المَعْطِي حَيَاةً" (١ كو ١٥ : ٤٥)، وبالنَّسْبَةِ لِيُوحَنَّا الباراكليت، الَّذِي يُعزِّي كَمَا تَفْعَلُ الأُمُّ، وَالَّذِي يُوَلِّدُ المُؤْمِنُونَ مِنْهُ "وَلادَةَ جَدِيدَةً" (يو ٣ : ٣-٦). فَالْبَشَرُ يُوَلِّدُونَ وَيَتَغَدَّوْنَ وَيَشْعُرُونَ بِالرَّفَقَةِ مِنْ خِلَالِ حَيَاةِ الأُمِّ. فَهِيَ مَصْدَرُ الحَيَاةِ (*fons vitae*) وَمَصْدَرُ مَحْيَا (*fons vivificans*). لَكِنْ الحَيَاةُ وَالْحُرِّيَّةُ يُمْكِنُ أَنْ تُتَبَيَّنَ فَقَطْ فِي العَدْلِ وَالْبِرِّ. فِي العَدْلِ، تُخَدَمُ حُرِّيَّةُ الإِنْسَانِ الحَيَاةُ وَصِرَاعَاتُهَا لِأَجْلِ حُرِّيَّةِ كُلِّ شَخْصٍ وَكُلِّ شَيْءٍ. وَالرَّوْحُ القُدْسُ أَيْضًا قَاضٍ (يو ١٦ : ٧-١١) وَهُوَ رُوحُ الحَقِّ.

إِنَّ الاختبارات الثلاثة - اختبار "الحُرِّيَّة" و"الحياة"، و"العَدْل" - تَنْتَمِي لِبَعْضِهَا وَيُكْمَلُونَ أَحَدَهُمُ الأُخَرَ، مَكُونِينَ مَلءَ الحَيَاةِ فِي اخْتِبَارِ اللهِ؛ وَبِنَفْسِ الطَّرِيقَةِ، فَإِنَّ الأَسْمَاءَ الثَّلَاثَةَ المَعْطَاةَ لِمَصْدَرِ تِلْكَ الاختبارات تَنْتَمِي أَيْضًا مَعًا وَتُكْمَلُ أَحَدُهَا الأُخَرَ: الرَّوْحُ القُدْسُ الرَّبِّ، بِاعْتِبَارِهِ أُمًّا وَقَاضِيًا. وَكُلَّ فَحْصٍ مُخْتَلَفٍ سَيَكْتَشِفُ حَالًا كَيْفَ تُصْبِحُ النُّظْرَةُ الأَحَادِيَّةُ إِذَا تُرِكَتْ هَذِهِ النُّتُوَاتُ، أَوْ إِذَا تَمَّ اخْتِرَالُ أَحَدِ المِصْطَلَحَاتِ إِلَى شَيْءٍ مُخْتَلَفٍ.^{٨٠}

الرَّوْحُ القُدْسُ وَخِبْرَةُ الرَّجُلِ وَالمَرَأَةِ فِي المَجْتَمَعِ

يُضَعُ مَوْلَتْمَانُ سِوَالِ جِنْسِ رُوحِ اللهِ فِي مَنْظُورٍ أَوْسَعٍ، أَيِّ، فِي الجَمَاعَةِ. لَاهُوتِيًّا، لَيْسَ كَافِيًا أَنْ نَنْقُدَ فَقَطْ أَنْوَاعَ اللَّاهُوتِ التَّقْلِيدِيِّ لِلِاسْتِخْفَافِ بِالتَّعْبِيرَاتِ الأَنْثُوِيَّةِ، وَمَحَاوَلَةَ اسْتِبْدَالِ التَّعْبِيرَاتِ الذَّكُورِيَّةِ بِاسْتِخْدَامِ آخِرِ مَحْدُودٍ وَحَصْرِيٍّ. فَيُصِرُّ مَوْلَتْمَانُ، بِنَاءً عَلَى فِكْرِ الكِتَابِ المَقْدَسِ، عَلَى أَنَّ مَا يَجْعَلُنَا صُورَةَ اللهِ (*imago Dei*) لَيْسَ الرَّوْحُ بِمَعزَلٍ عَنِ الجَسَدِ. فَتَتَكَوَّنُ صُورَةُ اللهِ فِي كِمَالِهَا مِنَ الرَّجُلِ وَالمَرَأَةِ فِي كُلِّيَّتِهِمَا، وَفِي مَلْتُهُمَا، فَهِيَ جَمَاعَةٌ مُحَدَّدَةٌ جِنْسِيًّا بَيْنَ الوَاحِدِ وَالأُخَرَ. فَاللهُ غَيْرُ مَعْلُومٍ فِي غُرْفَةٍ مَخْفِيَّةٍ فِي القَلْبِ أَوْ فِي مَكَانٍ مَعزَلٍ بَلْ فِي جَمَاعَةٍ حَقِيقِيَّةٍ مُكوَّنةٍ مِنَ الرَّجُلِ وَالمَرَأَةِ. وَكنتيجةً لِذَلِكَ، فَإِنَّ اخْتِبَارَ اللهِ وَرُوحَهُ هُوَ "اخْتِبَارُ مَجْتَمَعِي لِلنَّفْسِ، وَاخْتِبَارُ شَخْصِيٍّ لِلْمَجْتَمَعِ."^{٨١}

لِذَلِكَ يَسْأَلُ مَوْلَتْمَانُ أَسْئَلَةً مِثْلَ: مَا (مَسْتَوَى) الشَّرْكَةِ الَّذِي يَصِلُ إِلَيْهَا الرَّجُلُ وَالمَرَأَةُ فِي شَرْكَتِهِمَا مَعَ المَسِيحِ وَفِي اخْتِبَارِهِمَا لِلرَّوْحِ القُدْسِ، الَّذِي يُوَدِّ أَنْ يَهَبَ الحَيَاةَ لِكُلِّ ذِي جَسَدٍ؟ كَيْفَ يَخْتَبِرُ الرَّجُلُ وَالمَرَأَةُ أَحَدُهُمَا الأُخَرَ فِي جَمَاعَةِ شَعْبِ المَسِيحِ، وَفِي شَرْكَةِ الحَيَاةِ الَّتِي تَهَبُهَا الرَّوْحُ القُدْسُ الأُمُّ؟ وَليستْ هَذِهِ أَسْئَلَةٌ عَنِ سِيَاسَاتِ الكَنِيسَةِ، بَلْ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ هِيَ أَسْئَلَةٌ عَنِ الإِيمَانِ:

بحسب الوعد المذكور في (يوئيل ٢: ٢٨-٣٠)، "وَيَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنِّي أَسْكُبُ رُوحِي عَلَى كُلِّ بَشَرٍ فَيَتَنَبَّأُ بِنُوحِكُمْ وَبِنَاتِكُمْ." (قارن مع أع ٢: ١٧، وما بعدها). فقد اشترك الرِّجال والنِّساء في الرِّجاء الاسخاتولوجي لاختبار الرُّوح القدس بالنِّسأوي. و"سيتنبأ" الرِّجال والنِّساء وسينادون بالإنجيل. وبحسب نبوءة يوئيل ٢، فمن خلال الاختبار المشترك للرُّوح القدس، ستختفي المقارنة بين امتيازات الرِّجال مع النِّساء، والكبار مع الصِّغار، والسَّادة مع "العبيد والإماء." ففي ملكوت الرُّوح القدس، سيختبر كلُّ شخص مواهبه الشَّخصيَّة، وسيختبر الكلُّ معاً الشَّركة الجديدة.^{٨٢}

نحو علم الرُّوح القدس البيئي النَّسوي

يُعَدُّ كتاب اليزابيث جونسون المرأة والأرض والرُّوح القدس الخالق^{٨٣} دراسة غير تقليديَّة عن الرُّوح القدس الَّتِي بها تجمع ما يتعلق بمنهجين مُكْمَلين: اللاهوت النَّسوي والبيئي. وأطروحة الكتاب هي "استغلال الأرض، الَّتِي وصلَّ إلى نسبة كارثيَّة في هذه الأيَّام، والمُنَّصل بشكلٍ وثيق بوضع قيود على المرأة، وهاتان الأزمان مُنَّصلتان جوهريًّا بتناسي دور الرُّوح القدس الخالق المتغلغل في شتى جوانب الحياة."^{٨٤} وتحاول جونسون أن تتعامل مع تحدي المرأة والخليفة من منظور واضح لعلم الرُّوح القدس.

في الجزء الأوَّل من الكتاب، تعرض جونسون بعناية الأزمات البيئيَّة الحاليَّة، وتقول إنَّ الطَّريقة الشَّرعيَّة الوحيدة لحلِّ المشكلة هي من خلال اللاهوت البيئي النَّسوي. فلن يصل تحليل الأزمة البيئيَّة إلى قلب المشكلة دون أن ترى العلاقة بين استغلال الأرض واستغلال الجنس.^{٨٥}

تعاني جونسون من النَّثائيَّة "النَّراتيبيَّة" المنتشرة في اللاهوت المسيحي، والَّتِي تقود إلى سوء استخدام الطَّبيعة، وانتهاك الجنس الآخر، والإساءة إلى جسد الإنسان. كما أُنْزرت على الفهم المسيحيِّ لله؛ فقد وُصف الله بتعبيرات تراتبيَّة، والَّتِي تقود أيضاً إلى مفاهيم تراتبيَّة في الكنيسة.^{٨٦} وتجادل جونسون أن التَّمييز على أساس الجنس يسود الرُّوحانيَّة واللاهوت المسيحيين. إنَّ كلاً من الأنوثة، والطَّبيعة، والجسد، وجنس الفرد، والمرأة منفصلون عن بعضهم.

٨٢ المرجع السابق، ٢٣٩-٢٤١.

83 Elizabeth Johnson, *Women, Earth, and Creator Spirit* (New York/Mahwah, NJ: Paulist Press, 1993).

٨٤ المرجع السابق، ٢.

٨٥ المرجع السابق، ١٠.

86 Cf. Moltmann, *Spirit of Life*, 239-240.

ومهمة اللاهوت البيئي النسوي هي البحث عن كمال جديد، وشركة جديدة من المساواة.^{٨٧} فيؤكد اللاهوت البيئي النسوي على الاتحاد بين الطبيعة، والمرأة والرجل، والأجساد، وهكذا يتطلع بشكل إيجابي نحو "نماذج قريبة".^{٨٨} وباعتباره واهب الحياة، فإن الروح القدس هو المصدر المبدع للحياة كلها. والروح القدس الخالق محايت، ولديه طاقة مجددة لتجدد وجه الأرض.^{٨٩} فيرى اللاهوت البيئي النسوي أنّ "اللاهوت الروح القدس الخالق يتغلب على ثنائية الروح والمادة بكل ما فيها من عواقب، ويقود إلى إدراك قدسية الأرض".^{٩٠} إنّها تقود إلى نموذج متمركز حول الحياة، ومتمركز حول الطبيعة بالمقارنة مع النموذج الأحادي المتمركز حول الإنسان، أو النموذج المتمركز حول الرجل.

آراء إفريقية في علم الروح القدس

علم الروح القدس في الحياة الحقيقية

كما أشرت في مقدمة هذا الفصل أنّ اللاهوت دائماً ما يتجذر ويتشكّل بقريته المحددة. لذلك فإنّ كلّ إعدادات ثقافية ودينية تميل إلى تطوير أفكار واضحة عن الله والروح القدس. ويحدث هذا في حالة الاهتمام بالمدخل الإفريقية المتعددة لفهم الروح القدس.

قدّم إم. إل. دانييل M. L. Daneel من الكنيسة الهولندية المُصلحة في جنوب أفريقيا صورة معاصرة للفهم المتفرد عن الروح القدس بين المسيحيين في الكنائس المؤسسة الإفريقية (African Instituted Churches)،^{٩١} وقد نشأ علم الروح القدس الديناميكي من الصراع المؤلم مع أكثر أنواع اللاهوت تقليدية في كنائس الإرسالية الغربية. عددًا، فإنّ كنائس AIC

87 Johnson, *Women, Earth, and Creator Spirit*, 25.

٨٨ المرجع السابق، ٣٩.

٨٩ المرجع السابق، ٤٢.

٩٠ المرجع السابق، ٦٠.

91 M. L. Daneel, "African Independent Church Pneumatology and the Salvation of All Creation," in *All Together in One Place: Theological Papers from the Brighton Conference on World Evangelism*, ed. Harold D. Hunter and Peter D. Hocken (Sheffield : Sheffield Academic Press, 1993), 96–126. Cf. Allan H. Anderson, *Moya: The Holy Spirit from an African Perspective* (Pretoria: University of South Africa, 1994).

والكنائس المستقلة الأخرى سبقت كنائسها الأم. فعلى سبيل المثال، انتشرت كنيسة صهيون التابعة للأسقف ليكجانيان Lekganyane مع ملايين من تابعيها في جنوب إفريقيا. وفي زمبابوي، تدعى الكنائس المستقلة أنها ٥٠ بالمئة أو أكثر من المسيحيين في المناطق الريفية.

تصف التّوجهات الإفريقية في علم الرّوح القدس روح الله في أربعة أدوار كبرى. الأول، الرّوح القدس هو مخلص البشرية. فقد رأى الرّسول يوهان مارانكي فابوستوري Johane Maranke vaPostori، رسول كنائس AIC في زمبابوي، كتابين في رؤية من الله، واستطاع أن يفهمهما من خلال وحي الرّوح القدس وليس من خلال التّعليم الذي حصل عليه في مركز الإرسالية الأوروبية. وكان محتوى الكتابين هو الحياة الأبدية. وفي هذه الرؤية، رأى يوهان نفسه مثل شخصية موسى، حيث يقود تابعيه من بلاد كثيرة من أرض الأعداء والنيران إلى مكاني أمين.

تتصف أنواع اللاهوت في كنائس AIC بإدراك ضياع وخطية البشرية، والحاجة الماسة للإيمان والمعمودية. وقد تمّ تبرير قوانين وأعراف الكنيسة الجديدة بوصفها مباشرة بأنها من وحي ووصية الرّوح القدس. إنّ العرق الأسود في إفريقيا - المهمل، والفقير والمقهور - أصبح الآن ذا مكانة رفيعة ومن الصّفة، وقد دعاه الرّوح القدس لنشر رسالة الخلاص.

الدور الثاني، الرّوح القدس الشّافي والحامي. في بدايات أربعينيات القرن الماضي، ركزت كنائس إفريقيا على خدمات الشفاء. ويظهر الشفاء والحماية قوّة الرّوح القدس ضدّ قوى الشر. وأصبح التّكلم بالسّنة في طليعة كلّ الجلسات التّشخيصية النّبوية التي يُعلن فيها الرّوح القدس للنّبي سبب المرض الذي يشكو منه المريض. وترمز كلّ الرّموز المستخدمة في طقوس الشفاء، مثل الماء المقدّس، الورق، العصا، الجبال المقدّسة إلى قوّة الرّوح القدس على كلّ القوى المدمّرة. وقد أصبحت مياه "نهر الأردن"، التي يعتمد فيها النّاس، أداة مطهّرة وشفافية وطاردة للأرواح الشريرة بشكل متزايد.

الدور الثالث، يتحدّث مسيحيو كنائس AIC عن الرّوح القدس باعتباره روح العدل والحريّة. وقد أدخل الأسقف الراحل صموئيل موتيندي Samuel Mutendi، أسقف كنيسة صهيون المسيحية في زمبابوي، التّنافس السّياسي من خلال معارضة إدارة الاستعمار للتّعليم والأرض والأموال الدنيّة. وتأثرت الحركة الرّوحية للمجتمع لتشجّعه على التّحرّك بالوعظ والصّلاة والقوّة،

وكثيرًا ما صاحبته النبوات. وقد عمل الأنبياء في تلك الأوقات في الصّدارة. لكن، الرّوح القدس، الذي كان يعمل باعتباره "حارس الأرض"، هو مَنْ أدار معارك الحرّية. وتشمل أكثر ممارسات مشكوك فيها أنبياء يساعدون في عمليات "تطهير المجتمع"، وذلك لإقصاء أولئك الذين خانوا أرواحهم في مواجهتهم مع قمع الحكومة. وأيضًا، أظهر مفهوم "الرّوح المحارب" ردود أفعال مختلطة.

الدّور الرّابع، يشمل الدّور الرّابع للرّوح القدس في لاهوت وروحانيّة كنائس AIC الحفاظ على الأرض. ففي الفترة التّالية للاستقلال في زمبابوي عام ١٩٨٠م، حوّلت كنائس AIC انتباهها بشكلٍ متزايد إلى مشروعات عديدة، مثل: تطوير الكثير من حضانات الكنائس لأجل ثمار جديدة وأشجار طبيعيّة في داخل أو بالقرب من المراكز الرّئيسيّة للكنائس النّبويّة. لقد رأى النّاس دور الرّوح القدس في تحرير النّاس من القيود، واليوم في تحريرهم من الفقر والاقتصاد الميؤس منه. ويشمل عمل الرّوح القدس الشّافي وواهب الحياة كلّ شيء له علاقة بسعادة الإنسان مشتملاً على الشّفاء وحماية المحاصيل. وممارسة الأنبياء لتشخيص أمراض أرض هي إحدى الوسائل التي يعيش عليها مسيحيّو كنائس AIC حياة بعيدًا عن الحياة الكاريزماتيّة. وقد ظهرت في السّنوات الأخيرة بعض المحاولات لتطوير اللاهوت المكتوب عن البيئة من منظور الكنائس الإفريقيّة.

تُعَلنُ هذه الأدوار بوضوح تأكيدًا على البُعد الذي يخصّ العالم الحاضر في عمل الرّوح القدس، بالرّغم من التّوجه الكرازيّ القويّ. وذلك بالرّغم من أنّ البُعد الدّنيويّ لعمل الرّوح القدس لا يتعارض مع دور الرّوح القدس في خلاص الإنسان.

الرّوح القدس المتوافق مع القرينة

جادل ديريك ب. موتونجو Derek B. Mutungu أنّه على أساس نظرتهم البديلة للعالم، يرى الأفارقة الكيانات الرّوحيّة والماديّة على أنّها كيانات حقيقيّة تتفاعل مع بعضها البعض في الزّمان والمكان. ويرفض هؤلاء الأفارقة المسيحيّون كلّاً من النّظرة الدّنيويّة للعالم ومفاهيم الإرساليّات "الغربيّة" عن الواقع والرّوح. لقد تركت "الأرثوذكسيّة" المسيحيّين بدون مساعدة في واقع

الحياة، ولذلك، فهناك احتياج لنوع بديل من علم الرّوح القدس، والذي يمكنه أن يتواصل مع الاحتياجات بدلاً من أولئك الذين يهتمون بالطبيعة الرّوحية فقط.⁹² لا توجد طريقة لعرض التّوجهات الإفريقيّة في علم الرّوح القدس دون الإشارة إلى أكبر قسم في الكنائس الإفريقيّة والرّوحانيّة، وهو الحركات الخمسينيّة/الكاريزماتيّة. وحتى تلك الكنائس، التي لا تُعرّف نفسها رسمياً أنّها حركات خمسينيّة/كاريزماتيّة، فإنّها عادةً ما تعكس نوع من الرّوحانيّة الذي ارتبط بهذه الحركات.⁹³

جادل آلان هـ. أندرسون Allan H. Anderson في جنوب إفريقيا، والذي دَرَسَ لسنوات الظاهرة المُعقّدة جدّاً للحركة الخمسينيّة الإفريقيّة، أنّ الحركة الخمسينيّة كانت قادرة على الاندماج في أنواعها الرّوحية المتعدّدة لعاداتها ومعتقداتها وطقوسها المحليّة. وتتفاعل الخمسينيّة الإفريقيّة باستمرار مع روح العالم الإفريقيّ بنفس الطّريقة التي واجهت بها الحركة الخمسينيّة في أمريكا اللاتينيّة الكاثوليكيّة الشّعبيّة والرّوحانيّة البرازيليّة، واستخدمت الحركة الخمسينيّة الكوريّة النّقاليّة الشّامانيّة* في ثقافتهم.

يؤكد أندرسون أنّه في إفريقيا غيرت الحركات الخمسينيّة وما شابهها من حركات، التي ظهرت في آلاف الكنائس الوطنيّة، وجه المسيحيّة بشكلٍ ثوريّ، فقط لأنّهم أعلنوا إنجيل الخلاص المقدّس الذي يتضمن التّحرير من كلّ أشكال الظلم، مثل المرض، والشّعوزة، والأرواح الشّريرة، والفقر. وقد سدّد هذا الإنجيل احتياجات الأفرقة بشكلٍ أساسيٍّ أفضل من الإنجيل "الرّوحي" والعقلانيّ الذي كان تراثاً أساسياً للإرساليّات الأوروبيّة والأمريكيّة:

92 Derek B. Mutungu, "A Response to M. L. Daneel," in *All Together in One Place*, 127–131.

93 Allan H. Anderson, "Gospel and Culture in Pentecostal Mission in the Third World," unpublished paper presented at 11th meeting of the European Pentecostal/Charismatic Association at the Missions-akademie of the University of Hamburg, Germany, July 13–17, 1999. Cf. Allan H. Anderson and Walter J. Hollenweger, eds., *Pentecostal after a Century: Global Perspectives on a Movement in Transition* (Sheffield: Academic Press, 1999); Allen H. Anderson, *Bazalwane: African Pentecostal in South Africa* (Pretoria: University of South Africa, 1992).

* Shamanism: هو دين روحيّ لبعض شعوب آسيا، حيث يتوسط الكهنة بين العالم المرئيّ والأرواح. (المترجم)

إنّ كلّ الحركات الخمسينية المختلفة بشدّة لديها ملامح هامة ومشاركة: فهي تعلن وتحتفل بخلاص (أو "شفاء") متغلغل في كلّ خبرات الحياة وأحزانها، وتقدّم قوّة تمنح نوعاً من الكرامة ونظاماً يتغلب على مشكلات الحياة، وكلّ هذا يبعث رسله في إرسالية متفردة.⁹⁴

قوّة الرّوح القدس والأصنميّة

استكشف إرهارد كاميهوسن Erhard Kamphausen في أكثر دراسة خلاقية ومستفزة بعض الشّيء، ممارسة "الأصنميّة" (defetishism أو defetishisation، نوع من التّطهير) بين المشيخيين في غانا. فقد حاول كاميهوسن في دراسته أن يضع ممارسة "تطهير" سلع السّوق بين المشيخيين في غانا، ومعظمهم لديهم توجّهات كاريزماتية قويّة، في قرينة رمزية إفريقية.⁹⁵ كما هو معروف، فإنّ كثير من الوعاظ في إفريقيا يحثّون المسيحيين ألاّ يشتروا أو يستهلكوا سلع السّوق دون تمييز وحماية روحية حقيقية؛ حيث يُعتدّ أنّ هذه السلع تحتوي على قوى روحية خطيرة ضارة بالمستخدمين. ويتم رؤية الأسواق على أنّها ساحة لعرض المنتجات الغير معروفة المصدر والمنتجة في ظلّ ظروف العولمة لثباع وتشتري، وبالتالي تجد طريقها إلى خصوصية البيوت. ويؤمن كاميهوسن أنّ العمل المُصليّ لأجل التّطهير يُشابه من حيث التّركيب مفهوم الأصنميّة الذي مارسته الإرساليات المسيحية عندما واجهت الديانات القبلية الإفريقية. فقد كانت الأصنميّة تُستخدم في كشف والتّصدي لجوانب معينة من الوثنيّة، والتي تتحكم بها الأرواح الشريرة.

خلال النّصف الأوّل من القرن العشرين، قرّن مسيحيو غانا بين المسيحية والحضارة الغربيّة. فقد دخلت القدرة على الشّراء والاستهلاك عن طريق الإرساليات، وتّم احترام التّجار المستعمرين. وللأسف، مرّ اقتصاد غانا بأكثر كارثة كانت سبب انهياره في نهاية الثّمانينيات، وذلك بسبب الرّيادة المفاجئة لعدد الخمسينيين. فلم يقبل الخمسينيون والكاريزماتيون الفكر الرئيسيّ المؤسس للكنائس، لأنّهم آمنوا أنّه لا يقدر على تقديم الرّفاهية والصّحة. وقد فسّروا العالم

94 Anderson, "Gospel and Culture," 11.

95 Erhard Kamphausen, "Pentecostalism and De-Fetishism: A Ghanaian Case Study," unpublished paper presented at the 11th meeting of the European Pentecostal/Charismatic Association at the Missionsakademie of the University of Hamburg, Germany, July 13–17, 1999.

الواقعيّ على أنّه ميدان الحرب الرّوحية بين الله والشيطان. وبالتالي، آمنوا أنّه خُلف السّوق المرئيّ هناك سوق آخر للأرواح.

وبحسب كاميهوسن، يبدو أنّ المفتاح التفسيري لفكّ شفرة هذا النّظام الرّمزيّ هو المصدر الغريب من السّلع الغريبة. فبسبب مصدرها الغريب، اعتقدّ النّاس أنّها ضارة. وهنا وظّف اللاهوت الخمسيني/الكاريزماتيّ مفهوم السّلع التي تحتوي على "سيرة ثقافية".⁹⁶ وبدلاً من امتلاك والتحكّم في السّلع، يخاطر المالك بأنّ تمتلكه سلع غريبة المصدر.

ويقارن كاميهوسن هذا المفهوم للـ"السّلع المتحرّكة" بالمفهوم الماركسيّ للسّلع باعتبارها أصناماً (*Warenfetischismus*). فقد استخدم ماركس Marx مصطلح الصنميّة (fetishism) ليتصدى للتفسير الرّاسميّ للسّلع باعتبارها موادّ مستقلّة تواجه العمال الذين أنتجوها في ظروف إنتاج صعبة. فبالنسبة لماركس، تحوّلت السّلع إلى أصنام في لحظة حقيقية التي أنكرت فيها شخصياتهم الحقيقية كنتاج لظروف العمل الكادحة.

على النقيض مع فكر ماركس، يؤمن مسيحيّو غانا بتحوّل السّلع إلى أصنام "حقيقية" بسبب مصدرها الغريب. وقد أدعى الوعاظ الغانيّون إعلان وكشف "الخلفيات النّقافية" المختبئة وراء سلع السّوق عن طريق الصّلاة وإخراج الشياطين. ويُلخّص كاميهوسن دراسته:

من الهام جدّاً أنّ نضيف، أنّ الحديث الخمسينيّ لا يعلن فقط المخاطر المرتبطة بالسّلع، لكنه يقدّم أيضاً إجراءات مضادة وبدائل روحية. وذلك من خلال تحوّل البشر إلى أنية للرّوح القدس مولودين ثانية ومؤمنين، ولديهم قوّة لمصارعة الشيطان وأتباعه الأشرار؛ وبالتالي، يمكنهم من تغيير الأصنام الكامنة إلى أشياء غير ضارة.⁹⁷

بكلماتٍ أخرى، ميل إيمان الأفارقة الخمسيني/الكاريزماتيّ إلى الصّراع مع تأثير الأرواح يمكن فهمه بسبب قدرته على التحدّث مباشرة لكلّ القضايا المعاصرة وتقديم ما يحتاجه النّاس من موارد روحية.

96 Igor Kopytoff, "The Cultural Biography of Things: Commoditization as Process," *The Social Life of Things: Commodities in Cultural Perspective* (Cambridge: Cambridge University Press, 1986), 64ff.

97 Kamphausen, "Pentecostalism and De-Fetishism," 19.

تُعِينُ هذه العَيِّنة من مُلَخَّص المداخل المتعدِّدة لدراسة الرّوح القدس أنّ هناك احتياج للربط بين اللاهوت وقرائن معيَّنة. وبالرَّغم من أنّ اللاهوت المسيحيّ مبني على إعلان الله، إلّا إنّه عاش دائماً في حدود الزّمان والمكان. فلا يحتاج المرء أنّ يكون نبياً ليقول إنّ مستقبل علم الرّوح القدس يعتمد إلى حدّ كبير على ظهور وتكاثر هذه المداخل الجديدة والحديثة والمتّفعة مع القرينة، والتي تخدم أيضاً الأفكار الغربيّة التّقليديّة في علم الرّوح القدس، وتتحوّل إلى مصطلحات بكلّ ما فيها من نقاط قوّة وضعف.